ليون برشي

الكتاب : **ليون برشي**
المؤلف : **إبراهيم البلوي**
الطبعة : الأولى 2021
عدد الصفحات : 128
القياس : 13 × 19
الإيداع القانوني : 2021MO2345
الترقيم الدولي : 978-9920-627-97-9

جميع الحقوق محفوظة

المركز الثقافي للكتاب

الدار البيضاء / المغرب
6، زنقة التيكر
هاتف : 212522810406+
فاكس : 212522810407+
markazkitab@gmail.com

بيروت / لبنان
الحمراء ـ شارع المقدسي ـ بناء بلبيسي
هاتف : 9611747422+
فاكس : 9611744733+

INSTITUT
DU MONDE
ARABE
معهد العالم العربي
كرسي المعهد

King Faisal
PRIZE

ليون برشي

إبراهيم البلوي

المركز الثقافي للكتاب
للنشر والتوزيع

المحتويات

عتبـــة 7
مقدمة 9
حياته وسيرته 13
الاستشراق 24
موقف برشي من الاستشراق 26
اللغة العربية والترجمة 32
دواعي الترجمة ومعاييرها 32
الدراسات الإسلامية عند ليون برشي 34
دراسات في الحديث النبوي الشريف 39
أطروحة ليون برشي لنيل درجة الدكتوراه 45
الورقات في أصول الفقه 57
متن الرسالة 58
متن العاصمية 61
نماذج من الترجمة 63
إحياء علوم الدين للإمام الغزالي 68

في اللغة العربية والأدب 72
طوق الحمامة 75
معجم العضد اليمين للمحررين والمترجمين 79
مقتبسات من برشي 84
ما قيل عنه 95
برشي في عيون المستعربين 102
الإنتاج الفكري والثقافي 108
الخاتمة 115
فهرس المراجع 117

عتبــة

يصدر هذا الكتاب ضمن مشروع معرفي طموح، تبنته ونفذته مؤسستان ثقافيتان كبيرتان، هما "جائزة الملك فيصل" بالرياض، و"معهد العالم العربي" في باريس، ممثلاً في "كرسي المعهد". يهدف هذا المشروع إلى التعريف بمائة عالم وباحث، من العرب والفرنسيين، ساهموا في تقديم إحدى الثقافتين للأخرى. لقد كرس هؤلاء الباحثون والمثقفون، العرب والفرنسيون، جهودهم لتعزيز مختلف أشكال الحوار الجاد، والتفاعل الخلاق بين ضفتي المتوسط، خلال القرنين الماضيين. وبفضل منجزاتهم الاستثنائية استحقوا الاحتفاء بهم، والكتابة عنهم، من أجل تخليد ذكراهم، والتعريف بهم لدى الأجيال التالية؛ التي نأمل أن ينظروا إليهم باعتبارهم رموزاً مشعة، تلهم العقول، وتضيء مسالك المستقبل، لكل من يعي أن الثقافة بمكوناتها العلمية والفكرية والجمالية، هي الطريق الأمثل للتعارف والتعاون بين البشر.

اختيار ستين شخصية عربية، وأربعين شخصية فرنسية، جاء نتيجة لعمل مهني متصل، بذلته لجنة علمية مشتركة

على مدار أشهر. حرصت اللجنة أن تكون الأسماء المختارة ممثلة، قدر الممكن، لمختلف الفترات التاريخية، والتخصصات المعرفية، والتوجهات الفكرية والإبداعية. إننا ندرك تماماً أن في كل اختيار مخاطرة. ولو كتبنا عن ألف شخصية وأكثر، فسيظل هناك أعلام يستحقون الحضور ضمن هذه السلسلة.

يتوجه هذا المشروع الثقافي إلى قارئ عام يقظ، قد يدفعه فضوله إلى المزيد من البحث المعمق في منجزات هؤلاء الوسطاء الثقافيين، الذين طالما استمتعنا بكتاباتهم، وأفدنا من أفكارهم الغنية المجددة.

إنها قناعة من المؤسستين بإضاءة مائة شمعة، تدشيناً لعمل مفتوح، نأمل أن يتممه آخرون من بعدنا، وهنا يحقق المشروع أهدافه الأكثر جمالاً ونبلاً.

خالص التقدير للمؤلفين، الذين آمنوا معنا بالفكرة، وساهموا في تحقيقها. والشكر الأوفر لصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، رئيس هيئة الجائزة، والسيد جاك لانغ، رئيس المعهد، لدعمهما ومتابعتهما للمشروع. والله الموفق.

أمين عام الجائزة
عبد العزيز السبيل

مدير عام المعهد
معجب الزهراني

مقدمة

قد تكون المدرسة الفرنسية من أهم مدارس الاستشراق، حيث تمتاز عن غيرها من المدارس بالشمولية والتعددية، وقد اختصت بشكل موسع بدراسة اللغة العربية وآدابها وبالدراسات الإسلامية، وتشكلت ملامح تلك المدرسة بإنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية سنة 1795، التي تعرف اليوم بمعهد اللغات والحضارات الشرقية (إنالكو)، ومن أبرز أعلام تلك المدرسة سلفستر دي ساسي الذي يلقب "بشيخ المستشرقين الفرنسيين"[1]، هو من الأعضاء المؤسسين لتلك المدرسة. يذكر إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" أن اهتمام فرنسا بالشرق بدا مع حملة نابليون على مصر، وتوسعت دائرة الاستشراق الفرنسي بعد احتلال تونس ومراكش إذ صار حتما التعرف على اللغة والتاريخ والديانة، فترجمت ونشرت نصوص عربية كثيرة"[2]. ويبين هنري لورنس في مقاله المنشور بعنوان "الاستشراق الفرنسي: مسيرة تاريخية" بأن "النظام الاستعماري بلغ ذروته في مطلع القرن التاسع

(1) الدكتور عبدالرحمن بدوي هو من اطلق عليه هذا اللقب.
(2) قاسم السمرائي، 2008: ص15.

عشر، وأن منطق الإمبراطورية بدأ في تشكله بإضفاء طابع مؤسساتي متنامي على أساليب الإدارة وأنماط المعرفة، حيث سبق دخوله للمغرب بعثة علمية كلفت بعمل استطلاع اجتماعي سياسي للبلد. وكان مصدر إلهام هذه البعثة الضابط السابق الفرد لوشاتيلييه Alfred Le Châtelier الذي أصبح فيما بعد أستاذ كرسي في "الكوليج دو فرانس" تموله إدارة المستعمرات في الجزائر والمغرب"[1]

ينتمي ليون برشي إلى جيل عريق من أعلام تلك المدرسة التي نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: روبير مونتاني Robert Montagne (1893- 1954)، أوكتاف هوداس Octave Houdas (1840- 1916)، غوستاف لوبون Gustave Lebon (1841-1931)، كـــارا دي فـــو Carra De Vaux (1867- 1953)، وليام مارسي William Marçais (1872- 1956)، ألفـــرد بيـــل Alfred Bel (1873-1945)، لويس ماسينيون Louis Massignon (1883-1962)، هنري بيريس (1890- 1983) Henri Peres ريجيس بـــلاشيـــر Régis Blachere (1900- 1973)، جورج هنري بوسكيه Georges-Henri Bousquet (1900- 1978)... لقد ارتبط بعلاقات متينة مع بعضهم مثل وليام مارسي الذي يصفه بالأستاذ الملهم، وبوسكيه الذي

(1) Henry Laurens, coll. Penser l'Orient, 2008 : p.p. 103-128.

تعاون معه في ترجمة كتاب المختصر للقدوري في الفقه الحنفي، وباب آداب النكاح من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، وكذلك هنري بيريس الذي كتب فيه مقالة تأبينية بعد وفاته.

لا يختلف ليون برشي بوصفه مستعرباً فرنسياً في منهجه عن أبناء جيله، يظل في مذهبه مستشرقاً تشبع بمبادئ المدرسة الفرنسية، ومتأثراً برموزها. تعلم اللغة العربية وترجم عن التراث وتعمق في دراسة أصول الفقه. أثارت شخصيته الجدل نتيجة للغموض الذي كان يوصف به بحكم عمله ضابطاً عسكرياً، ومترجماً، وأستاذاً أكاديمياً. حاول من خلال كتاباته وترجماته أن يكون له إسهام موضوعي بعيداً عن غايات الاستعمار من المستشرقين وأن يقدم نفسه كأستاذ جامعي، إلا أن مجمل مسيرته الفكرية تبوح بأسرارها وتكشف عن العلاقة المتينة التي تربطه بإدارات المستعمرات في المغرب العربي، وأنه لم يخرج عن مفهوم قيم "جمهورية الأساتذة"[1] الذين جاءوا بدوافع وغايات تقوم في جوهراها على المساهمة في تحقيق أهداف المشروع السياسي.

(1) كان أول من استخدم مصطلح "جمهورية الأساتذة"، هو ألبرت تيبودي Albert Thibaudet في مطلع القرن التاسع عشر، الذي يصف من خلاله دور "الأساتذة الجامعيين" في الحياة السياسية خلال تلك الفترة.

حياته وسيرته

ولد ليون برشي Léon Bercher سنة 1889 في مدينة بلفور Belfort الفرنسية، الواقعة شمال شرقي منطقة بورغون Bourgogne التابعة لمقاطعة الألزاس Alsace. بعد منتصف القرن التاسع عشر، وتحديداً بُعيد عام 1871[1]، عندما خرجت الإمبراطورية الفرنسية الثانية بقيادة نابليون الثالث مهزومة في حربها مع ألمانيا بقيادة مملكة بروسيا، رحل والده ماري-لويس نابليون برشي Marie-Louis Napoléon Bercher[2]، الذي عمل طبيباً عسكرياً في الجيش الفرنسي، للعيش في الجزائر التي أصبحت وطناً بديلاً لكل من هاجر من منطقة الألزاس الفرنسية، التي أصبحت بعد هزيمة الجيش الفرنسي مقاطعة ألمانية، وكذلك منطقة اللورين وفقاً لمعاهدة فرانكفورت Traité de Francfort، التي وُقِّعت في تاريخ 10 مايو 1871 [3].

---

(1) François Pouillon, 88 :2008.

(2) ولد في مدينة لوتزيلهاوزون الألمانية التابعة لمقاطعة الألزاس سنة 1852 وتوفي في الجزائر سنة 1914.

(3) أنظر ويكيبيديا، (fr.m.wikipedia).

ونتيجة لهذه الأحداث وبالتزامن معها، حاولت الجمهورية الفرنسية الثالثة التي قامت على أنقاض الإمبراطورية الفرنسية الثانية أن تستعيد مكانتها وأمجادها في مستعمراتها بسن القوانين التي تمنح المستعمر كل الامتيازات في امتلاك الأراضي وبناء المستوطنات للمهجرين من الألزاس واللورين.

لقد كان المشهد في الجزائر عنيفاً ودموياً، تشن فيه جيوش المستعمر حرب إبادة على الشعب الجزائري، الأمر الذي دفع الشيخ المقراني والشيخ محمد الحداد في عام 1871 إلى قيادة ثورة مناهضة ضد المستعمر[1].

إن سرد هذه الأحداث التي تزامنت مع رحيل والد ليون برشي إلى الجزائر تساهم في فهم الحياة الاجتماعية والفكرية لليون، وبناء صورة ذهنية معمقة لتوجهاته الفكرية والسياسية، وهو الأمر الذي دفعنا للتعمق في الأحداث المحيطة بتلك الفترة، والتي زامنها في حياته.

لقد نشأ ليون برشي في العاصمة الجزائر، ودرس اللغة العربية في مدرسة الجزائر الثانوية. وفي عام 1906 حصل على الشهادة الثانوية، ومن ثم التحق بكلية العلوم في الجزائر ونال الإجازة من تلك الكلية، وكذلك حصل على دبلوم اللغة العربية في عام 1909[2].

---

(1) أنظر هالة فرحاتي، مقاومة المقراني والحداد 1871، رسالة ماجستير، 2014.

(2) François Pouillon, 88M2008.

بعد اكتسابه للغة العربية وإجادته لها وعمره لم يتجاوز العشرين ربيعاً عمل برشي بوظيفة مترجم فوري مع الجيش الفرنسي في المغرب والجزائر، وقد تنقل بين عدة مدن مغربية وجزائرية، مثل مدينة وجدة المغربية عاصمة الشرق المغربي، ومدينة آفلو الجزائرية الواقعة شمال غربي ولاية الأغواط، ومدينة تاغيت الجزائرية التابعة لولاية بشار. وقد عمل كذلك بوظيفة مجند في مجال الترجمة الفورية في الجنوب التونسي سنة 1912[1]. لقد ساهمت هذه التجربة المهنية في تنمية مهاراته اللغوية، والتعرف على مجتمعات شمال إفريقيا، والتعمق في فهم ثقافاتها.

في عام 1916 ذهب ليون برشي إلى الحجاز مع البعثة العسكرية والسياسية الفرنسية التي يقودها بريموند ادوارد Brémond Edouard[2]، وفي عام 1919 عاد من الحجاز

---

(1) المرجع السابق.

(2) ضابط فرنسي، ولد في باريس سنة 1968 وتوفي بها سنة 1948. درس العلوم العسكرية في كلية سانت سير. عمل مع الجيش الفرنسي في مدغشقر والجزائر والمغرب. في عام 1916 مثل البعثة الفرنسية المكلفة بزيارة الحجاز ولقاء شريف مكة. شارك في حملة فلسطين إبان الحرب العالمية الأولى، من أعماله "البرابرة والعرب: البربر بلد أوروبي"، صدر سنة 1942. يعبر في كتابه الصادر سنة 1918 بعنوان "تاريخنا وجغرافيتنا حول أرمينيا" عن تعاطفه تجاه الشعوب الأرمينية ومشاعره التي وصفت بالعنصرية تجاه الشعب التونسي.

إلى مدينة فاس، ومن ثم غادر إلى الجنوب التونسي لمواصلة عمله في مجال الترجمة. لم نجد إشارات إلى طبيعة رحلته إلى أرض الحجاز، ولكن من خلال قراءة الأحداث في تلك الفترة وطبيعة تكوينه وعمله الذي غلب عليه الاهتمام باللغة العربية وممارسة الترجمة في الميدان، فمن الراجح أنه كان من ضمن فريق الترجمة المصاحب لتلك البعثة، خصوصاً أن فرنسا من خلال وزارة مستعمراتها وإداراتها في منطقة شمال إفريقيا كانت تولي عناية كبيرة لتأهيل المترجمين والمتخصصين في اللغة العربية والدراسات الإنسانية والاجتماعية من الفرنسيين المستشرقين لفهم تلك المجتمعات وأنماط تفكيرهم والسيطرة عليهم ايديولوجياً.

تستند هذه الرؤية الاستشراقية في جوهرها على شعارات إنسانية وحضارية، يراد منها إيصال صورة إيجابية عن الاستعمار، وتقديم رسالة فرنسا للبلاد المستعمرة على أنها "رسالة حضارية" "mission civilsatrice". ولتحقيق هذه الرسالة، يبين جوزف غاليني Joseph Gallieni[1] في عام 1898 الأسس

(1) ولد جوزف غاليني في سانت بيت بفرنسا سنة 1849 وتوفي في فرساي عام 1916. يوصف بأنه قائد عسكري بارز شارك في العديد من الحملات العسكرية في أفريقيا وتحديدا في السنغال وحوض النيجر. تنقل في الرتب العسكرية إلى أن وصل إلى رتبة قائد أركان =

التوجيهية للسلام، التي تقوم، في أساسها، على إعطاء الأولوية للعمل السياسي الذي يستمد قوته عن طريق معرفة الدول والشعوب والتعمق في التعرف على السكان وعاداتهم وتقاليدهم[1].

بعد العودة من الحجاز والانتقال إلى تونس، تعمق ليون برشي في دراسة اللغة العربية ليحصل على الإجازة في اللغة العربية من المدرسة العليا للغة والأدب العربي في تونس سنة 1920، وقد أشرف عليه خلال تلك المرحلة الدراسية المستشرق وليام مارسي William Marçais[2] الذي رأى فيه برشي الأستاذ الملهم الذي تتلمذ على يديه.

= للقوات البحرية الفرنسية. يميل لممارسة السياسة بالإضافة للعمل العسكري في المناطق المستعمرة، ويعرف بمذهبه العسكري الذي يتلخص بشعاراته: "بقعة الزيت" و"سياسة الأعراق"، التي تقوم على سياسة "فرق لتسود" (Wikipédia).

(1) Hervé Drévillon, Olivier Wieviorka, Histoire Militaire de la France 2018 : 118.

(2) مستشرق فرنسي، ولد في مدينة رن سنة 1872 وتوفي في باريس سنة 1956. عمل مديراً لمدرسة تلمسان وأستاذا فيها. اهتم بدراسة اللهجات في شمال إفريقيا. من أهم أعماله: ترجمة جامع الأحاديث الصحيحة للبخاري في أربعة أجزاء، ترجمة كتاب التقريب والتيسير للنووي، ونشر بحثاً بعنوان: أصول النثر العربي الفني (موسوعة الأديان dorar.net).

وفي عام 1921 ترأس برشي قسم الترجمة التحريرية والفورية في الأمانة العامة التونسية التي كان يديرها غابريل بيوه Gabriel Puaux[1]، وكان في الوقت ذاته يحضر أطروحته الموسومة بعنوان: "أحكام الجنايات والعقوبات في ضوء القانون العام والقرآن الكريم" لنيل درجة الدكتوراه في جامعة إكس انبروفانس Aix-en-Provence التي تقدم لمناقشتها سنة 1926، ونال الدرجة العلمية.

لقد برز ليون برشي ولمع نجمه بوصفه متخصصاً في اللغة العربية والترجمة والقانون الإسلامي، حيث كُلِّف بالعمل رئيساً لقسم خدمات الترجمة لدى مفوضية فرنسا العمومية في تونس التي أنشئت بعد توقيع معاهدة باردو أو ما تسمى بمعاهدة قصر السعيد في 12 مايو 1881، وهي تضمن حق السلطة الفرنسية في الإشراف المالي والإشراف

(1) ولد سنة 1883 في باريس وتوفي سنة 1970. تقلد عدة مناصب دبلوماسية خارج فرنسا، عمل في تونس، وكانت فيها آخر مناصبه الأمين العام للحكومة الفرنسية خلال الفترة من 1919-1922. شغل منصب المفوض العام في المغرب في الفترة من 1943-1946. وهو رئيس جمعية التاريخ البروتوستنتية الفرنسية في الفترة من 1949 إلى 1963. من أبرز أعماله: عامان في بلاد الشام: مذكرات من سوريا ولبنان، صدر عام 1952، وكتاب مقاربات نفسية لمحميات شمال أفريقيا، صدر سنة 1954 (Wikipédia).

على العلاقات الخارجية لتونس وكذلك إدارة المنظومة العسكرية، وأن لفرنسا حق تعيين مفوض فرنسي لمدينة تونس[1].

وفي العام 1926، وبعد حصوله على درجة الدكتوراه التحق للعمل في المدرسة العليا للغة والأدب العربي في تونس كأستاذ متخصص في القانون الإسلامي[2]. وفي عام 1950، أصبح مديراً للدراسات العربية في معهد الدراسات العليا بتونس.

شارك ليون برشي في الحياة الثقافية والاجتماعية في المجتمع المحلي، كان يعطي دروس الترجمة في المدرسة "الصادقية"[3] التي تأسست لتكون على غرار المدرسة الزيتونية، ويحاضر في الكلية العليا للغة والأدب العربي، وقد كلف بالإشراف على كرسي القانون الإسلامي. ساهم في تأسيس المجلة التونسية، ومارس النشر العلمي والثقافي في المجلة التونسية باسمه أو باسم مستعار.

---

(1) أنظر ويكيبيديا.

(2) أنظر فرانسوا بويون، Dictionnaire des orientalistes de la langue français، 2008، ص 89

(3) أسسها خير الدين التونسي سنة 1875، أي بعد توقيع معاهدة باردو بستة أعوام.

يبدي برشي اهتمامه بالمذهب المالكي، وقد ظهر هذا الاهتمام من خلال ترجماته، حيث نشر عدة مقالات في مجلة الدراسات الإسلامية في الفترة ما بين 1930 إلى 1935[1]. وهو يرى أنه يحمل مشروعاً إصلاحياً، يريد من خلاله إصلاح التعليم العالي في مجال الدراسات الإسلامية في تونس ومصر، وبث قيم الحضارة الغربية والمناداة بالحريات الفردية، بهدف السيطرة على تلك المجتمعات وخدمة المشروع السياسي الفرنسي في تلك الفترة، وهذا ما عبر عنه ألان مسعودي في كتابه "المستعربون وفرنسا الاستعمارية في الفترة ما بين 1780-1930". ولعل استنباط مثل هذه الأحكام يفسره السياق التاريخي للأحداث، والتوجهات المعرفية لليون برشي الذي كرس جهده لدراسة اللغة العربية خدمة للمستعربين الذين يخدمون مشروع فرنسا الكبير.

تخصص في القانون الإسلامي، ودرس الفقه المالكي وتعمق فيه، وترجم عنه. نقل "متن الرسالة" لابن أبي زيد القيرواني إلى اللغة الفرنسية الذي صدر في الجزائر سنة 1945، وترجم "الورقات في أصول الفقــه les fondements du droit

(1) أنظر فرانسوا بويون، Dictionnaire des orientalistes de la langue français، 2008، ص 89.

musulman et des lois de la Charia" للإمام الجويني، وقد صدرت الترجمة للمرة الأولى في المجلة التونسية سنة 1930. وبالتعاون مع جورج بوسكيه Georges H Bousquet[1]، ترجم "كتاب النكاح، وهو الكتاب الثاني من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين Le Livre des bons usages en matière de mariage" للإمام أبي حامد الغزالي، صدرت الترجمة في باريس عام 1953. لقد اهتم ليون برشي بدراسة الأدب الأندلسي، فهو أول من ترجم إلى اللغة الفرنسية "طوق الحمامة Le collier de la colombe" لابن حزم الأندلسي عام 1949، وطبعه في الجزائر.

كان له دور بارز في إذكاء روح الترجمة، والانخراط في المجتمع المحلي والمشاركة في إنتاج المعرفة الموجهة، والعمل ضمن منظومة التعليم في جميع مراحلها. ألف معجماً

(1) مستشرق فرنسي. ولد بوسكيه في ميدون إحدى ضواحي باريس سنة 1900 وتوفي في جيروند سنة 1978 درس في كلية العلوم السياسية بباريس. ثم التحق بسلم التعليم ودرس الاقتصاد السياسي في كلية القانون في الجزائر عام 1927. له العديد من الانتاج العلمي الذي تجاوز 260 عنوانا بين تأليف وترجمة، تعمق في دراسة القانون الاسلامي والدراسات الاجتماعية المتعلقة بشمال إفريقيا. في عام 1942 نشر كتاب "الإسلام المغاربي"، (Dictionnaire des orientaliste de la langue française).

مبسطاً في اللغة العربية الحديثة، أسماه "العضد اليمين للمحررين والمترجمين" Lexique Arabe-Français avec un Index Français-Arabe correspondant، صدرت الطبعة الأولى منه سنة 1938، وهو كما يذكر في تقديمه، أنه مكمل لعمل جان باتيست بيلو Jean-Baptiste Belot[1].

يذكر معجم المستشرقين لفرانسوا بويون François Bouillon أن المشروع الإصلاحي الذي يدعو إليه برشي يقوم على خلق القطيعة بين المفكرين الإسلاميين الجدد، ومدرستي الأزهر والزيتونة[2]. وللإنصاف، فقد ساهم ليون برشي في إذكاء روح الترجمة من خلال عمله كمترجم في المؤسسات التعليمية، وكأستاذ باحث ومترجم لمجموعة من الأعمال

(1) ولد في أوكس بفرنسا سنة 1822 وتوفي في بيروت عام 1904، انضم إلى الرهبانية في 1842، وهو من المستشرقين الفرنسيين الذين اهتموا باللغة العربية، ويصنف على أنه معجمي ومتخصص في النحو العربي. انتقل إلى بيروت وعهد إليه إدارة المطبعة الكاثوليكية. من أعماله: أصول القواعد العربية (1849)، من الأدب العربي في خمسة أجزاء، صدر بالتعاون مع الأب روديه (1877)، ومن أعماله المعجمية: الفرائد الدرية في اللغتين العربيـــة والفرنسية (1883)، ومختصر المعجم الفرنسي العربي (1952). وله رواية الغصن النضير (معجم اسماء المستشرقين).

(2) المصدر السابق.

المهمة، ونشر المقالات والترجمات التلخيصية، كما نقل بعض المعارف العربية إلى اللغة الفرنسية، وتقديم العون للمسلمين في المستعمرات الفرنسية عن طريق قراءة أعماله المترجمة إلى اللغة الفرنسية، ونخص منها ما يتعلق بالدراسات الإسلامية. لقد أثرى ليون برشي المكتبة الفرنسية بنقل بعض التراث الإسلامي إلى اللغة الفرنسية، فترجماته ما زالت تعد من المراجع الأساسية والمهمة، الأمر الذي دفع دور النشر لإعادة طباعتها ونشرها.

الاستشراق

يشير "إدوارد سعيد" في كتابه "الاستشراق" إلى ثلاثة دلالات للاستشراق هي: "جامعية أكاديمية فكل من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه أو بحثه فهو مستشرق وعلمه هو الاستشراق، سواء أكان المرء مختصاً بعلم الإنسان أو بعلم الاجتماع أم مؤرخا أم فقه لغة؛ والثانية أكثر عمومية من الأولى من حيث هي أسلوب من الفكر القائم على تمييز وجودي (انتولوجي) ومعرفي (ابستمولوجي) بين الشرق والغرب؛ والثالثة هي أن الاستشراق أسلوب غربي يهدف إلى السيطرة على الشرق وبسط السيادة عليه".[1] ويعرف الاستشراق بمفهومه العام على أنه "حركة فكرية وفلسفية أسسها البيروقراط في بريطانيا بغرض فهم ثقافات، وفلسفات وأديان الشرق إبان الاستعمار البريطاني للهند في أواسط القرن الثامن عشر، وتوسعت حركة الاستشراق في الدول الاستعمارية كبريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، ودرست من قبل الأكاديميين

(1) ادوارد سعيد: 1981، الاستشراق، ترجمة كمال أبوديب، ط1.

في أروقة الجامعات والمعاهد العلمية بصورة أكثر منهجية، وشملت الشرق الأقصى والأدنى والأوسط بما فيها الدول العربية"[1]. وفي ذات السياق يشير ريمي لابروس في مقاله المنشور بعنوان: "الاستشراق والاسلاموفوبيا"، بأنه قد "حصل في القرن التاسع عشر اضطراب كبير في العلاقات التقليدية بين الشـرق والغرب نتيجة لبث أدوات لتحليل وتفكيك القيم الثقافية... وقد ظهر ذلك من خلال تشخيص تخلف المجتمعات الإسلامية فيما يتعلق بالعقلانية الحديثة، وأن هذه المجتمعات بالرغم من مجاورتها للغرب واتصالها به منذ قرون، فإنه لا يبدو أنها قادرة على التأثر نتيجة لقيم متجذرة تاريخياً وبسب الدونية الحاصلة، وأن هذه المجتمعات ليست في وضع جيد لتكون منافساً محفزاً لصناعة المستقبل"[2].

وفي ضوء المفاهيم الأساسية للاستشراق الفرنسي، نجد أن ليون برشي اهتم بقضايا معرفية تتعلق بالإسلام وبقيم المجتمعات وعاداتها وتقاليدها، وهذا التعمق المعرفي يعد من أنجع الوسائل لمعرفة المجتمع، لذا، فقد خصص جل جهوده الفكرية لمناقشة مسائل تتعلق بالأحوال الشخصية

(1) أنظر ويكيبيديا.

(2) Rémi Labrusse, 2011 : p. 29.

وبقانون الأسرة تحديدا، وعلى هذا الأساس حَضَّرَ رسالته لنيل درجة الدكتوراه بعنوان: "أحكام الجنايات والعقوبات في القانون العام وفي ضوء القرآن"، وكذلك اهتم بدراسة أصول الفقه ونقله إلى اللغة الفرنسية مثل ترجمة "الورقات في أصول الفقه" للإمام الجويني، وترجمة "متن الرسالة" للقيرواني، و"كتاب النكاح" من إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي. يذكر طارق السيد في مقالة "الاستشراق. وقضايا المرأة المسلمة"[1] أن "... للاستشراق دوراً رئيساً في إثارة وتحريك ما يسمى "بقضايا المرأة المسلمة"، ويشير هنا إلى عدد من المستشرقين من بينهم ليون برشي الذي ركز في هذا الجانب على دراسة "أحكام الأسرة وأحوالها".

موقف برشي من الاستشراق:

اهتم الاستشراق الفرنسي بقضايا اللغة العربية وآدابها، وبترجمة وتحقيق مصادر التراث في الحضارة الإسلامية، "وقد لعبت فرنسا دوراً هاماً في الاستشراق، منذ تأسيس مدرستي "ريمس" و"شارتر" لتدريس اللغة العربية في باريس،

(1) أنظر طارق السيد: 2014، الاستشراق... وقضايا المرأة المسلمة، Lahaonlin.com

وكرسي الدراسات الإسلامية في جامعة السربون التي الحق بها معهد الدراسات الإسلامية"[1]. ويمكن تلخيص موقف ليون برشي من الاستشراق في الكلمة التي قدمها للإذاعة التونسية، ونشرتها المجلة الزيتونية[2] في المجلد الخامس الصادر في مارس/أبريل 1942 بعنوان: "المستشرقون" (المحاضرة القيمة التي ألقاها الأستاذ برشي رئيس قسم الترجمة بالكتابة العامة أمام مذياع تونس القومية وقد درس فيها أعمال جماعة من المستشرقين المهتمين بالبحوث الإسلامية).

قبل البدء في تحليل الكلمة التي قدمها ليون برشي أمام المذياع التونسي، فإنه من المهم الإشارة إلى جملة من الملاحظات التي تبين وضع برشي في الوسط الثقافي التونسي، وكذلك مكانته لدى المؤسسات التربوية والدينية والإعلامية، وأيضاً عند المجتمع المحلي. نُشرت المحاضرة في مجلة الزيتونة، وهي مجلة معتبرة تصدر عن هيئة مدرسي جامع الزيتونة، ووعاء فكري وثقافي له مكانته في المؤسسة الدينية في

(1) أنظر وكيبيديا.

(2) مجلة علمية أدبية اخلاقية تصدر عن هيئة مدرسي جامع الزيتونة. صدر المجلد الأول منها في سبتمبر 1936 الموافق رجب 1355هـ، وصدر المجلد الأخير منها عام 1955 الموافق 1374هـ.

تونس وكذلك في المؤسسات التربوية. يذكر رفعت محمود في مقالته التي نشرها بعنوان: "المجلة الزيتونية، أقدم مجلات الجامعات الإسلامية" أن أهمية المجلة "تأتي من كونها صوتاً للجامعة الزيتونية، أما القائمون عليها فهم جماعة من مدرسي هذه الجامعة، فهي صورة للحياة الدينية والأدبية والعلمية في هذه الجامعة، التي تتحدث المجلة بصوتها ولسان آبائها، وتفصح عن فكرهم واتجاهاتهم في الأدب والحياة"[1]. إن نشر محاضرة برشي في مثل هذه المجلة التي تشرف عليها هيئة جامع الزيتونة يمنحها حصانة ثقافية وفكرية عند أهل العلم والثقافة، خصوصاً وأن المجلة قدمته بألقاب فيها التبجيل والاحترام، حيث وُصِفَ "بالمستشرق الكبير" ووُصِفَت محاضرته "بالقيمة". وعلى المستوى الإعلامي، فقد قُدِّمَت المحاضرة للمتلقي بصوت برشي عن طريق المذياع التونسي، حيث جميع فئات المجتمع يمكنها الاستماع لها.

لقد استعان برشي في كلمته التي قدمها بألفاظ لغوية رصينة وبعبارات مسكوكة يظهر من خلالها قدراته اللغوية، وتمكُّنه من بلاغة اللغة العربية. وقد أتاح له هذا التمكنُّ من

(1) رفعت محمود، المجلة الزيتونية: مجلة أقدم الجامعات الإسلامية، alukah.net

اللغة العربية في الإسهاب بالترجمة، ونقل أعمال إلى اللغة الفرنسية ليس من السهل ترجمتها مثل "طوق الحمامة" الذي يتضمن نصوصاً شعرية، وكذلك "المنظومة العاصمية". لقد تعمق برشي في المعجمية، حيث ألف "معجم العضد اليمين للمحررين والمترجمين". ومثل هذا التنوع والشمول يبين خصائص المدرسة الاستشراقية الفرنسية التي "تمتاز بالشمول والتعدد فهي لم تترك ميدانا من ميادين المعارف الشرقية إلا وتناولته بحثا أو نقدا أو تمحيصا سواء من جانب اللغات وآدابها أو التاريخ أو مقارنة الأديان أو الآثار والفنون أو القانون"[1]. والناظر للإنتاج الفكري لبرشي، يجد أنه يمتاز بهذه التعددية وبهذا الشمول.

عبر برشي في محاضرته عن موقفه من الاستشراق، وأكد على أهمية الاستشراق ونبل رسالتهم، وصف أعمال المستشرقين بأنها "كسائر الأعمال البشرية لا تخلو من الهفوات والغلطات"، وأتبع هذا الوصف المعتدل بإعطاء صورة عن المستشرقين وأعمالهم، التي في مجملها لا يمكن لها أن تكون إلا إيجابية، فـ"مجموعها السمين راجحاً

(1) أنور محمود زناتي، 2006: ص9.

والغث مرجوحاً". وفي سؤاله عن "الداعي الذي حمل الإفرنج على الاشتغال بلغات وأدب الشرق وخصوصاً اللغة العربية؟ يمكن لنا تلخيص إجابته بالتالي:

- جهل الغرب بالشرق قبل مرحلة الحروب الصليبية.
- أن أول من اهتم بدراسة الشرق هم رجال الدين في القرون الوسطى، وأن غايتهم كانت لفهم الكتب الدينية.
- اهتم رجال الدين بتعلم اللغة العربية لفهم ما كُتب بها حول الفلسفة الإغريقية بوصف اللغة العربية أداة اتصال في هذا الحقل المعرفي.
- تعلم رجال الدين اللغة العربية لغايات تبشيرية، ويرى برشي أن هذا الهدف لم يتحقق.
- أن من دواعي الاستشراق البحث العلمي المجرد.

وما نلاحظه هنا، أن برشي لم يشر في كلمته إلى الاستعمار الذي يوصف بأنه من العوامل الأساسية التي ساهمت في نشأة الاستشراق وتعزيز حراكه في المناطق المستعمرة.

لقد ركز الاستشراق في المناطق العربية على دراسة التراث والدراسات الانثروبولوجية لفهم الشعوب والتعمق

في معرفتها. وأنه إذا كان الحديث عن البحث العلمي المجرد، فإنه من النادر أن نجد أعمالاً مترجمة إلى اللغة العربية خدمة لشعوبها أو للتعليم في مجال العلوم الطبيعية. يبين نذير حمدان في مؤلفه (مستشرقون)، أنه "وعلى الرغم من أن قلة منهم (أي من المستشرقين) لم تُعرف لهم مهمات سياسية أو تجاوزات مذهبية... فإن أكثرهم كان غارقاً في حمأة الاستعمار عسكرياً وسياسياً لا يخشى من الالتزام الفكري أن يدور في فلك الاستعمار... ومنهم ليون برشي الفرنسي... الضابط في الجيش الفرنسي، وهو مدير معهد الدراسات العليا بتونس"[1].

أنهى برشي محاضرته بالإشارة إلى أبرز جهود المستشرقين الذين درسوا اللغة العربية في القرن السابع عشر، وأنه في مناسبات أخرى سوف يتناول تجارب مستشرقين تنتمي إلى قرون أخرى، وهذا يعني أن ليون برشي لديه تواصل مع الإذاعة التونسية، ومثل هذا الحضور الإعلامي، من شأنه أن يساهم في تعزيز حضوره بوصفه مستشرقاً متخصصاً في اللغة العربية وفي العلوم الإسلامية بحكم دراساته الأكاديمية وترجماته عن التراث الإسلامي.

---

(1) نذير حمدان، مستشرقون: سياسيون، جامعيون، مجمعيون، 1988، ص11.

اللغة العربية والترجمة

دواعي الترجمة ومعاييرها:

حصل في الحضارات وفي العلاقات بين الشعوب تطور غير مسبوق ما جعل حاجة الإنسان إلى الترجمة وإلى معرفة اللغات الأجنبية أكثر إلحاحاً وجدوى، فقد ازدادت وسائل التواصل تنوعاً ونجاعة وخطراً، وتكاثرت الصناعات والإنجازات ذات التعقد المتزايد، وبذلك تفاعلت الأفكار والمعارف والمهارات وصارت متداخلة، ومن ثم اضطربت الحدود وتقلصت الفواصل وغدت كل أمة متفاعلة مع غيرها بحاجة إلى سواها في هذا المجال أو ذاك، ولذلك صار من واجب أهل كل حضارة أن يعرفوا علوم بعض الحضارات والثقافات الأخرى حتى يحسنوا فهم خصائصها الفكرية وينجحوا في التعامل معها.

لقد تعددت دواعي الترجمة في الماضي والحاضر واختلفت في مضامينها، ولكننا نستطيع القول بأن أبرز هذه

الدواعي وأهمها هي:

1. دواعٍ ثقافية، ومنطلقات هذه الدواعي تتلخص في البحث والكشف عن الآخر والاتصال به عن طريق الثقافة التي تشكل المكون الرئيسي له.
2. دواعٍ علمية، وهي متصلة بالتخصصات الدقيقة.
3. دواعٍ سياسية بهدف الوصول إلى الغايات السياسية من خلال فهم الواقع.
4. دواعٍ اقتصادية.

يرى المستشرق الألماني ألبرت ديتريخ Albert Dietrich أن الباحث المستشرق، هو الذي "يحاول دراسة الشرق وتفهمه، ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سليمة ما لم يتقن لغات الشرق"[1].

(1) ديتريخ، ألبرت: الدراسات العربية في ألمانيا، تطورها التاريخي ووضعها الحالي 7، جوتنجن، 1962.

الدراسات الإسلامية عند ليون برشي

اعتنى المستشرقون بشكل خاص بنقل التراث الإسلامي إلى اللغات الأخرى، وذلك لفهم الشعوب وخصائصها، ومكونها الثقافي. وكما أن من أبرز المكونات الثقافية: اللغة والدين والعادات والتقاليد، فقد سعوا للتعمق في هذه المكونات الثلاثة الأساسية ودراستها عن طريق تعلم اللغة العربية والبحث في أنثروبيولوجية الشعوب العربية ودراسة تراث الحضارة الإسلامية، والترجمة عنه، وكان لديهم مشروع كبير يتمثل في إظهار الرغبة لتحقيق هذه الغاية من خلال دراسة اللغة والتراث. وكانت الترجمة هي النشاط الأول لهذا الحراك. وقد بدأت بالاهتمام بأهم مكونات الحضارة الإسلامية وهو القرآن الكريم، حيث اعتنوا بترجمته ونقله للغات الأخرى، وعلى هذا الأساس قامت الدراسات الاستشراقية التي اعتمدت عليها في رؤيتها للحضارة الإسلامية. وفي هذا السياق، يذكر Alin Messaoudi أن "تحليل واقع تدخل المستعربين في الإصلاحات السياسية في المغرب يستوجب عملاً مستقلاً في ذاته. فقد قاموا بشكل مرضي

بدور مهم للغاية في مجال القضاء، وسار بعضهم، على مضض، وراء مطالب السلطات السياسية. لقد شكلت سنوات العمل التي كرسها ليون برشي منذ عام 1947 تجاه الاصلاح القضائي في تونس مرحلة مضنية بالنسبة له[1]".

ولفهم هذا التصور، فإنه ينبغي علينا استعراض مراحل تطور ترجمة ونقل معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى. لقد بدأت المحاولات الأولى لترجمة معاني القرآن الكريم[2] في نهاية القرن الحادي عشر، وأن أول ترجمة للقرآن الكريم كانت بإيعاز من راهب دير كلوني Cluny بطرس الموقر[3] Pierre Le Vénérable (1092–1156)، الذي شغل هذا المنصب من عام 1122م إلى عام 1156م، إلى بطرس الطليطلي Pierre de Tolède[4]؛ وكان ذلك سنة 1143م، وأن اللذين

(1) أنظر الان مسعودي، Les arabisants et la France coloniale 1780-1930، ص 478.

(2) أحمد البنيان وإبراهيم البلوي، ترجمة الألفاظ القرآنية بين التغريب والتوطين، مجلة أفشوت، 2003، المغرب، ص: 62، 63، 64.

(3) ولد في 1092 في كواوني، وتوفي عام 1156. اسمه بطرس موريس. (أنظر وكيبيديا).

(4) كمارا، فودي سوريبا، ص4: 1423هـ.

قاما بهذه الترجمة، هما الراهب الإنجليزي 'روبرت' Robert والراهب الألماني 'هرمان' Herman.

وأول من نقد هذه الترجمة المستشرق الفرنسي "بلاشير" بقوله: "لا تبدو الترجمة الطليطلية للقرآن بوجه من الوجوه ترجمة أمينة وكاملة للنص". لم يكن الهدف من هذا الإيعاز بهذه الترجمة الحوار والاتصال، كما هو مشار إليه في الموسوعة الفرنسية Encyclopédie Universalis، بل النقد وإثارة الشبهات. وبالرغم من "أن تلك الترجمة كانت مبتورة وناقصة وخائنة فإن السلطات الكنسية في تلك الفترة منعت ظهورها وحالت دون انتشارها بحفظها في دير كلوني بفرنسا، إلى أن طبعت في عام 1543م بمدينة بال السويسرية"[1].

لقد مرت حركة ترجمة القرآن الكريم في أوروبا بعدة مراحل متداخلة[2]:

1. من القرن الحادي عشر حتى الثامن عشر.
2. مرحلة الترجمة من العربية إلى اللاتينية (بذرة الاستشراق).
3. مرحلة الترجمة من اللاتينية إلى اللغات الأوروبية.

---

(1) البقاعي، محمد خير بن محمود، ص11: 1423هـ.
(2) البنيان، أحمد عبدالله، ص3: 1423هـ.

4. مرحلة الترجمة من اللغة العربية مباشرة إلى اللغات الأوروبية بواسطة المستشرقين وأضرابهم، بعد أن اشتد ساعد الاستشراق وعرف العربية ودرس كتبها.
5. مرحلة دخول المسلمين مؤخراً إلى ميدان الترجمة إلى اللغات الأوروبية.

وتعد ترجمة André De Ryer أول ترجمة فرنسية لمعاني القرآن الكريم، حيث أُنجزت في منتصف القرن السابع عشر، وطبعت عام 1647م. وتلى ذلك عدة تراجم، مثل ترجمة جلازماخر Glazemaker المستشرق الهولندي، والمستشرق لانج Lange الذي نقلها إلى اللغة الألمانية، وبوسنكوف Bosnikov إلى اللغة الروسية. ومن الترجمات الفرنسية التي ذاع صيتها ترجمة كازمرسكي Kasimisrsky التي صدرت لأول مرة في عام 1840م.

وكل هذه الترجمات، كما يذكر البقاعي، "تشتمل على جانب إيجابي بغير شك، يتمثل في الحضور الإسلامي في مجتمعات كانت إلى وقت قريب تجهل كل شيء عن هذا الدين السماوي التوحيدي...".[1]

(1) البقاعي: ص 5-6، 1423هـ.

لقد ساهمت ترجمة معاني القرآن الكريم غير الدقيقة والموجهة في إصدار أحكام مسبقة تأثر بها جل المستشرقين واستعملها البعض لتحقيق غايات سياسية وأيديولوجية، حتى المناهج الدراسية الحديثة تأثرت بشكل ملحوظ بهذه التصورات، وجاءت نتاج لهذه التصورات المغلوطة في أحيان كثيرة، وباحت بمحتواها. يورد كتاب منهج التاريخ المدرسي، الصادر في باريس عام 2005 عن دار النشر بريال Bréal أن المواجهة بين الحضارتين المسيحية والإسلامية كانت بسبب رفض الإسلام[1]، وبسبب الأحكام المسبقة: "وأن اقتباس الغرب لم يكن دائماً بهدف معرفة الآخر معرفة أفضل، أو مجرداً من أحكام مسبقة عن هذا الآخر، وإن ترجمة القرآن الكريم التي نفذها راهب دير كلوني بطرس الموقر في طليطلة في عام 1142 إنما كانت تهدف إلى إثبات الشبهات في الإسلام"[2].(2005:117)

« Par ailleurs, les emprunts de ces derniers ne sont pas toujours motivés par le désir de mieux connaître l'autre ou dénues d'arrière –pensées. La traduction du Coran que l'abbé de Cluny Pierre le Vénérable fait réaliser à Tolède en 1142 a ainsi pour but de montrer à quel point l'islam est hérétique ».

(1) كتاب منهج التاريخ الصادر عام 2005 عن دار النشر بريال Bréal، ص 117.

(2) المصدر السابق.

دراسات في الحديث النبوي الشريف

بعد ترجمة معاني القرآن الكريم، اهتم المستشرقون بترجمة السنة النبوية والتراث الإسلامي والتعمق في الدراسات الإسلامية، أو ما يسمونه بالإسلاميات أو الدراسات المحمدية. ومن هذه النماذج منشورات سلسلة معهد الدراسات الإسلامية في جامعة باريس الصادرة عن دار النشر Adrien Maisonneuve بعنوان "مدخل إلى الإسلام"، وهي عبارة عن ترجمة فصول من "دراسات حول الحديث" من مصنف "دراسات محمدية" لمؤلفه المستشرق الكبير إغناطس جولدتسيهر Ignaz Goldzhier، الذي صدر سنة (1899-1890) في جزئين. والترجمة المنشورة بعنوان "دراسات إسلامية في الحديث" مستلة من الجزء الثاني، نقلها إلى اللغة الفرنسية وعلق عليها ليون برشي[1]، صدرت النسخة المترجمة في العدد 49، سنة 1955م وأعيد نشرها سنة 1984م. وقد جاءت الترجمة في 355ص.

(1) BERCHER, Léon, Etudes sur a tradition islamique : Muhhmmedanishe studien, (I. GOLDZIHER), Tome 2, Initiation à l'Islam, coll. l'Institut d'Etudes Islamiques de l'Université de Paris, Adrien Maisonneuve, 1984.

ويناقش هذا الجزء "الحديث والسنة، والفوارق بينهما، ومن ثم يتناول المترجم موضوع دراسة المتن والسند، وقد خصص بعد ذلك فصلاً للجانب السياسي، فتكلم عن الحكم الأموي والعباسي، وبين أثر ذلك على الحديث النبوي. حاول أن يربط بين هزيمة العنصر العربي في الجاهلية، على أيدي المسلمين، وهزيمة العنصر العربي ممثلاً في الدولة الأموية على أيدي العباسيين، الذين قاموا بإحياء الإسلام وبعثه من جديد، ثم تحدث عن الصراع بين الفرق الإسلامية، ورأى أن الحديث كان سلاحاً تستخدمه تلك الفرق في صراعاتها المذهبية. تحدث عن الوضع في الحديث، واستخدامه وسيلة لتهذيب النفوس، والترويح عن القلوب[1]". وختم هذا الجزء بالكلام على طلب الحديث، وتدوينه وأهم مصنفاته. وفي قسم آخر من الجزء الثاني تحدث عن "تاريخ تقديس الأولياء والصالحين في الإسلام" وطبيعة هذا التقديس والتبرك بهما، فبين كيف يُتَصور هذا التقديس، والصلة بين التصورات الشعبية وبين التصورات الوثنية في الجاهلية. ويقسم هؤلاء الأولياء بحسب أماكن تقديسهم، ويُظهر ما بين الأولياء من فروق محلية في الأماكن المختلفة[2]".

(1) حمزة عزيز، مواقف جولدتسهير من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية (رسالة ماجستير، جامعة أم القرى)، ص 31، 2014.
(2) دراسات محمدية، ص 385، ص403.

وترجمة برشي لهذا العمل، بالرغم من توجهات جولدتسيهر الفكرية التي تقوم في جوهرها على إثارة الشبهات، تؤكد وحدة الرؤية الاستشراقية حول الإسلام وتاريخه، وتبوح مقدمة (المترجم) برشي بالانبهار والاهتمام، ويؤكد فيها على أهمية العمل بالرغم من مرور أكثر من نصف قرن عليه، وصعوبة اللغة التي كُتب بها، حتى على أهل اللغة الألمان أنفسهم، إلا أن الأهمية قائمة ونقله إلى اللغة الفرنسية يمثل أولولية. ويرى برشي هذه الترجمة بمثابة البوصلة التي تقوده للدخول في دهاليز أفكار هذا المستشرق الكبير وسبرها، كما يصفه في ذلك.

يقول برشي عن ترجمته، بأنه قبل تقديمها للقارئ الفرنسي، تمت إجازتها من البروفسور ليفي بروفنسال[1] E. Lévi-Provençal والبروفسور بلاشير[2] R. Blachère. وفي هذا السياق نقدم تنويه ليون برشي الذي أورده تقديماً لترجمته، حيث يذكر: "بأنه منذ أكثر من نصف قرن مضى، واهتمام الباحثين

(1) مستشرق فرنسي، ولد بالجزائر سنة 1894م، وتوفي في باريس عام 1956م. جل أعماله تتعلق بالحضور الإسلامي في الأندلس.

(2) مستشرق فرنسي، ولد في مونروج بباريس سنة 1900م. انتقل إلى المغرب مع أسرته وهو في سن الخامسة عشرة. وتوفي في باريس سنة 1973م. من أبرز أعماله ترجمة "معاني القرآن الكريم".

بالدراسات الإسلامية قائم على قراءة الدراسات المحمدية للمستشرق الكبير إغناطس جولدتسيهر. غير أنه، ولسوء الحظ، بالنسبة للناطقين باللغة الفرنسية، فقد كتب العمل باللغة الألمانية وبلغة صعبة غير سلسة حتى للألمان أنفسهم. ولهذا السبب قمت بوضع مقدمة لهذا العمل المتميز باللغة الفرنسية. في بادئ الأمر، قمت بنفسي بصياغتها، لتكون لي خريطة طريق أعبر بها دهاليز فكر صاحب هذا العمل المستشرق الكبير، ويكون ذلك محجة لي في كل فصل من الفصول المترجمة. لقد راجع جزءاً من هذا العمل بعض الزملاء، مثل الأستاذ ليفي بروفنسال وريجيس بلاشير. كما أنني سعيد اليوم بأن أقدم هذا العمل للناطقين باللغة الفرنسية، ضمن سلسلة "مدخل إلى الإسلام". والفضل في هذا الإنجاز يعود للناشر ادريان Adran وإلى دار النشر Maisonneuve، فلهما كل الامتنان والعرفان. وأشكر أيضاً الأستاذ جيرار لوكونت Gérard Leconte[1] المعلم في مدرسة لويس لوغراند الثانوية الذي تلطف بالمساعدة في إعداد قائمة المخطوطات الواردة في متن النص، وكذلك

(1) مستعرب فرنسي (1926-1997)، متخصص في اللغة العربية، ويعتبر ليون برشي أستاذه ومعلمه، عمل في المعهد الوطني للغات والدراسات الشرقية.

جمع ملاحظات المؤلف الواردة في النسخة الأصلية للدراسات المحمدية المنشورة في المشرق أو في الغرب. ووضع كذلك فهرساً عاماً للجزء المترجم كي يسهل الرجوع إليه[1]".

لقد أُنجزت الترجمة بلغة واضحة ودقيقة للمعاني الأصلية المنقولة عن اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية. وتضمن النص المترجم 355 صفحة، فُصِّلَت أبوابه إلى مقدمة المترجم، ومقدمة الجزء الثاني من كتاب "دراسات محمدية"، وقائمة بالمراجع والمخطوطات التي رجع إليها مؤلف الكتاب، ومبررات اختيار كل فصل، وقسمت الدراسة إلى ثمانية فصول، وهي على النحو الآتي:

الفصل الأول : الحديث والسنة Hadit et Sunna

الفصل الثاني : الأمويون العباسيون Omayyades et Abbasides

الفصل الثالث : الحديث والصراع المذهبي في الإسلام La Tradition et les luttes de parti dans l'islam

(1) نص مقدمة ليون برشي لترجمته لدراسات إسلامية حول الحديث، الصادرة في سلسلة "مدخل إلى الإسلام".

الفصل الرابع : الموقف من الأحاديث الموضوعة
Réaction contre l'invention des tradition

الفصل الخامس : الحديث مادة للبناء والاستنباط La Tradition sujet d'édification et de distraction

الفصل السادس : البحث في الحديث La recherche des Traditions

الفصل السابع : تدوين الحديث La notation écrite des traditions

الفصل الثامن : أدبيات الحديث La littérature des traditions

ويمكن تلخيص الدواعي التي دفعت برشي إلى هذه الترجمة في النقاط التالية:

أولاً: تمكُّن ليون برشي من اللغة الألمانية، حيث كانت ولادته ونشأته الأولى بمقاطعة الألزاس التي أصبحت بعد اتفاقية 1871 مقاطعة ألمانية.

ثانياً: سمعة ومكانة مؤلف كتاب "دراسات محمدية" جولدتسيهر الذي يوصف بأنه إمام المستشرقين وكبيرهم، وكذلك أهمية النص المترجم.

ثالثاً: بحكم اختصاص واهتمام برشي بالدراسات الإسلامية وبأصول الفقه على المذهب المالكي، وسعة اطلاعه.

أطروحة ليون برشي لنيل درجة الدكتوراه

في الثاني والعشرين من شهر مايو لعام 1916م، ناقش ليون برشي رسالته الموسومة بـ: "أحكام الجنايات والعقوبات في ضوء القانون العام والقرآن، والضوابط الفقهية في المذهب المالكي والمذهب الشافعي والمذهب الحنفي" لنيـل درجـة الدكتوراه في كلية الحقوق بجامعة باريس، وقد ضمت اللجنة المناقشة البروفسور دونديو دو فابرس Donnedieu De Vabres، رئيس اللجنة والأستاذ المشرف، وعضوية البروفسور هيغوني Hugueney والأستاذ مونييه Monnier.

جاءت الأطروحة في 154 ص، وتضمنت ثلاثة أبواب، حيث تناولت مادتها العلمية موضوع الحدود الشرعية في الإسلام والجنايات والعقوبات المقدرة، وفصل صاحب الرسالة في آراء المذاهب المالكية والشافعية والحنفية تجاه هذه المسائل الفقهية.

تناول الباب الأول، جناية الدم (القتل العمد وشبه

العمد والخطأ والدِّية). وتضمن الباب الثاني، حد الزنا والعقوبات المقدرة فيه شرعاً وفقهاً. وأما الباب الثالث، فقد تضمن حد السرقة والعقوبات المقدرة فيه. أشار برشي في مقدمة الرسالة، إلى أن الهدف من الدراسة، هو البحث في القانون العام والعقوبات المنصوص عليها شرعاً في القرآن الكريم، والتي تعرف بالحدود عند الفقهاء في الإسلام. وبين كذلك أهمية الرجوع في هذا المبحث إلى السنة النبوية.

وفي عام 1926م، تم إعادة طباعة الرسالة ونشرها في تونس. ويبدو أن الاهتمامات البحثية والتوجهات الفكرية لليون برشي وكذلك إقامته في تونس سهلت هذا الأمر ودفعته إليه. يوصف برشي بالغامض، وذلك استنتاجاً مبنياً على طبيعة تكوينه الأكاديمي وما تميز به من اهتمامات دقيقة تتعلق بدراسة أصول الفقه الإسلامي، وكذلك للمهام السرية التي يقوم بها بوصفه مترجماً مجنداً لدى إدارة المستعمرات في شمال إفريقيا.

تعد اطروحة برشي لنيل درجة الدكتوراه في أحكام الجنايات والعقوبات في الإسلام من أهم الأعمال التي قدمها، وهذا ليس نتيجة للمادة العلمية التي تناولها في

أطروحته، ولكن فيما نجده من مادة فكرية تكشف عن منهج برشي ومساره العلمي تجاه الدراسات الإسلامية بشكل عام، وهي ترفع في مجملها الغطاء عن توجهاته البحثية التي جاءت مشحونة بالإسقاطات الممنهجة من خلال القراءة الموجهة. ومن الأمثلة على هذه الإسقاطات التي وقع فيها، ترجمته للفظة "الأعلاج " الواردة في نص "باب الجهاد" من كتاب "الرسالة" في الفقه المالكي لابن أبي زيد القيرواني : " ولا بأس بقتل من أسر من الأعلاج، ولا يقتل أحد بعد أمان" بعبارة "ولا بأس بقتل من أسر من غير العرب".

« Il n'y a pas d'inconvénient à tuer les prisonnier non Arabe qu'on aura fait »

لقد كشفت اطروحته منهجه الأكاديمي الذي يهدف لإعادة قراءة أصول الفقه الإسلامي، ونجد أنه اعتمد في اسقاطاته على التشكيك والتشويه. والترجمة التلخيصية لمقدمة أطروحته لنيل درجة الدكتوراه تبين ملامح المنهج، والهدف من الدراسة التي قام بها، حيث يوصي في خاتمة المقدمة بأهمية التعاون المشترك بين المستعربين المختصين في اللغة العربية وأولئك الذين اختصوا بالدراسات الإسلامية. وهو

يرى أن لهذا التعاون نتائج ايجابية تعود بالنفع المعرفي على الفريقين في مجال العلوم البحتة والممارسة الإدارية والقضائية في البلاد الإسلامية التي تقع تحت سلطة فرنسا. ومن ثم يعبر عن أمله في أن يعود عمله بالمنفعة على فرنسا.

يجده البعض بأنه يعمل ضمن "مشروع سياسي"، ويراه فرانسوا بويون بأن لديه في كثير من الاحيان "مواقف غير واضحة ومقلقة" بوصفه "خبير لدى الساسة الفرنسيين وأكاديمي مستقل"[1]. ويبرز مشهد هذا الغموض من خلال المقالات المنشورة في الحولية التونسية، التي في مجملها تتناول قضايا تتعلق بالقضاء أو بقانون الأسرة وكل ما يتعلق بالأحوال الشخصية. ونذكر، في هذا السياق، مقالته التي نشرها في الحولية التونسية سنة 1950 بعنوان "تنظيم القضاء"[2]. وقد جاءت دراسته التي تعبر عن ملامح مستقبل القضاء الحديث في تونس بمقاربة وصفية بين القضاء الفرنسي في تونس وتطوره بعد توقيع معاهدة 1881، والقضاء التونسي المرتبط بقانون الأحوال الشخصية والمواريث، وهو ما يطلق عليه القانون الإسلامي أو الشريعة. وفي هذا الصدد تشير

(1) François Bouillon, 2008 : p. 88.

(2) Léon Bercher, Initiation à la Tunisie, 1950 : p.p 270-280.

سناء درويش بن عاشور في ثنايا بحثها الموسوم بـ: "دراسة القانون في تونس إبان الحقبة الاستعمارية"، بأن الاستراتيجية لإدارة المستعمرات كانت واضحة في عملها بشأن نشر الثقافة الفرنسية ومنتجها: القانون التونسي الحديث.."[1]

وعلى هذا الأساس، يمكن القول بأن ليون برشي كان شاهدا على ملامح التغيير في القانون التونسي الحديث، وفاعلا في مشهد هذا الحراك بوصفه كان يعمل بعلمه خبيراً جامعياً وموظفاً لدى إدارة المستعمرات الفرنسية في تونس، لذا تقلد المناصب وطبعت رسالته في تونس سنة 1926، ونال التكريم والأوسمة من الحكومة الفرنسية.

يبدو أن فكر ليون برشي يأتي دعوة للتجديد في المجتمعات التي تقع تحت الاستعمار أو الحماية الفرنسية، وهي دعوة متناقضة نتيجة للإسقاطات التي يتبناها ويقدمها على أنها مسلمات علمية. ولتوضيح هذا الموقف نعرض ترجمة تلخيصية "لمقدمة رسالة الدكتوراه"، وقد جاءت على النحو الآتي:

يستهل المقدمة بالتعريف بالدراسة وحدودها بقوله: "يهدف هذا العمل لدراسة أحكام الجنايات والعقوبات في

(1) Sana Derouiche-Ben Achour, 2013 : p.p. 45-58.

ضوء القانون العام، والمنصوص عليها في القرآن. وتوصف هذه الجنايات والعقوبات بأنها جزء مما يطلق عليه الفقهاء المسلمون "بالحدود"، التي يأمر المشرع بإقامتها وتطبيقها. وقد بين المشرع هذه الجنايات وحددها، وحدد كذلك نوع العقوبات. ويحظى هذا التشريع بمنزلة كبيرة لدى الفقهاء في مجال القانون الجنائي الإسلامي. وهو المجال المخصص لتطبيق مبدأ "لا عقوبة إلا بنص". ولا تطبق هذه القاعدة على كامل القانون الجنائي الذي تحكمه بشكل عام، بل على عكس ذلك، فهي قاعدة متعارضة تماماً تتمثل في التحديد المتشدد للجنايات والعقوبات".

والمتأمل في الجزء التالي من المقدمة يلاحظ أن برشي استخدم عبارة "الجنايات ذات الطابع السياسي" لينزع منها الجانب القانوني أو القضائي، وهو بذلك يجري إسقاطا فيه تحريف لحقيقة المفاهيم لهذه الجنايات ورأي الشرع فيها، حيث يقول "تشمل الحدود جنايات مختلفة ومتباينة. وهي تجيز في تطبيقها، على الجنايات ذات الطابع السياسي أو الديني الصريح هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، الجنايات التي يسميها القانون الحديث جنايات عادية. وستقتصر دراستنا على الجنايات العادية، التي يجب أن نبحث فيها عن النصوص القرآنية التي تنظمها، والتعديلات والتغييرات

التي يمكن أن تخضع لها التشريعات اللاحقة. وسيتعين علينا أيضاً إبراز دور السنة النبوية في التفسير ونسخ أحكام النصوص القرآنية، وهو أمر يعود لمقتضيات اجتماعية أو سياسية. وبهذا المنهج تظهر لنا الفائدة الحقيقية للسنة والدور الذي تقوم به. وهي "ترسانة قوية" بالحجج القانونية التي تجعل من الممكن تبرير التحولات الحتمية التي حدثت على مدى القرون في الشريعة وتخفف من ثباتها الجامد والمقلق. وسنرى من خلال البحث، كيف يمكن للأحاديث الصحيحة تفسير النصوص ونسخها بشكل مناسب ومقبول بغية توضيح وتصويب وتعديل بعض الأحكام في النص القرآني التي يستحيل تطبيقها. وما يلاحظ أن الحديث يميل في تفسيره لتقييد مجال تطبيق العقوبات من خلال تقييد النص القرآني بالنسخ. ويقسم الفقهاء المسلمون الجنايات في القانون العام إلى: جناية الدم، حد الزنا "جريمة الشرف"، وحد السرقة. ومن أبرز سمات جناية الدم أن الفقهاء يعتبرونها بالدرجة الأولى جناية خاصة ، وتقوم هذه الجناية على تقديم مطالبة بالدم أو الدية لصالح المجني عليه أو ورثته. ونظرا لأهمية هذا الباب، سوف ندرسه بالتفصيل.

وبالرغم من اختصاص ذكر جناية الدم في القرآن، والتفصيل فيها، وهي القتل والجروح، سواء أكان ذلك

عمداً أو غير عمد، فإنه من المنطقي أن نتناول بإيجاز قضية الضرر الواقع بطريقة غير متعمدة، ونية جناية القتل، وكذلك التحريض على الاجهاض، والتعدي على "المحارم". وهذا ما يمكن مقارنته بالفعل بالمصلحة العامة. ولذلك يركز الجهد الرئيسي للفقهاء هنا على تحديد الجائز والمحرم في مسائل العلاقات الجنسية. إن مسألة المرونة القضائية في أحكام الجنايات تظهر الفارق بين تطبيقات القوانين الحديثة، وما هو موجود في القضاء الإسلامي.

إن موضوع العنف الذي يمثل أهمية كبيرة في قانوننا "يقصد هنا القانون الفرنسي"، لا نجده من أسباب تفاقم الجريمة. لذا نجد أن الجريمة التي ارتكبت في حق طفل، لا تعد زنا "ويقصد هنا القانون الإسلامي". إن الاعتداء على "العرض جنسيا"، أي القذف بالزنا غير المثبت شرعا يكون مقيدا ويجعل إثباته عمليا أمر في غاية الصعوبة، وهذا ما تمتاز به "العقلية السامية" التي تميل إلى إخفاء ما يسمونه "بالعار" والعمل على ستر كل ما يمس "المحرمات الجنسية السرية تجنبا للفضيحة". وهكذا يواصل برشي في تكريس صورة نمطية عن القضاء في الإسلام، وإطلاق أحكامه المسبقة على المجتمع العربي الإسلامي بوصفه مجتمعاً تحكمه عقلية سامية سلبية. وفي النص التالي يقدم منهجه في دراسة

"جناية السرقة"، حيث يقول: "إن الجناية الوحيدة للتكسب من القانون العام كما يصورها القرآن، هي السرقة، التي جعلتها العقيدة الأرثوذكسية، وفقاً للاتجاه العام المشار إليه أعلاه، بعملية السطو "السرقة"... وشروط وقوع هذه الجناية وفقا للنص القرآني تنطبق على جميع أنواع السرقات وعلى جميع اللصوص، وسنجد كذلك عقوبة قطع اليد الرهيبة للسارق.

لم ندرج ضمن هذه الجنايات، إلى جانب دراسة جناية السرقة، جريمة السطو وعقوبة الحرابة التي نص عليها القرآن وأقرها. والسبب في ذلك، أن لهذه الجريمة في الواقع طابعاً سياسياً واضحاً، وهذا ما يؤكده القرآن والدراسات القانونية التي نشأت نتيجة لهذه النظرية. لذا أشير إلى أن هذا قد يبدو صحيحاً، فمن المؤكد أن اللصوصية في المفهوم الشرعي الإسلامي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتمرد والردة، وهي جرائم سياسية واضحة. وقد كان ذلك نتيجة لضعف القوة المركزية في الدولة الإسلامية التي كانت تخشى من العصابات المسلحة، سواء كانت مدفوعة بأهداف سياسية محضة أو تعمل من أجل التكسب. وفي الواقع، نجد أنه من الصعب التمييز بين المتمردين "العصاة"، واللصوص العاديين.

أليس هذا الضعف في السلطة المركزية الذي يفسر تساهل المشرع الملحوظ تجاه قاطع الطريق عندما يأتي طواعية ليسلم نفسه للسلطات العامة، قبل أن تتمكن الأخيرة من القبض عليه؟ ألا يظهر لنا التاريخ وحتى الأحداث الجارية أن قطاع الطرق والمتمردين في الشرق هم نفس الرجال؟ لذا نجد أن الكاتب المعروف الماوردي، في كتابه "الأحكام السلطانية"، قدم لنا مبادئ القانون العام الإسلامي، نظريا أكثر منه تطبيقيا. يتناول موضوع اللصوصية في باب "حروب المصلحة العامة"، مع الردة والتمرد، لذلك يمكن بحث هذا الموضوع ودراسته ضمن الجنايات السياسية أو الدينية في الشريعة الإسلامية، وهي دراسة يمكن أن يتناولها العمل الحالي. وهذا يتعلق فقط بقسم واحد من القانون الجنائي الإسلامي، إضافة إلى الجنايات السياسية والدينية. وما يلاحظ كذلك، تجاهل كل قسم من قانون العقوبات المتعلق بالتعزير، أي قمع الجنايات التي لم ينص عليها القرآن بشكل صريح. وهذا ما يجعل مفهوم العدالة تجاه الاجراءات المتعلقة بالجنايات محل الدرس والبحث". وبهذا المنهج يستمر برشي في تقديم تصوراته حول القضاء والاستمرار في الانغماس في التفسيرات التي اعتمدت في جوهرها على إسقاطات وتأويلات غير دقيقة.

وفي النص التالي، يعبر برشي عن أهمية الدراسة التي يقوم بها، وعن الأدوات التي يجب أن تتوفر للقيام بمثل هذه الدراسات التي تقوم في الأساس على ضرورة اكتساب اللغة العربية وإتقانها، والتعمق في دراسة التراث الإسلامي، خدمة لمشروع إدارة بلادة التي تقع تحت سلطتها مجتمعات ذات هوية إسلامية، بقوله: "ومن المؤسف أنه لا يمكن إجراء مثل هذه الدراسات، وهذا، بغض النظر عن مهارة المؤلف ومعرفته بالقانون، إلا بالاستعانة بالنصوص العربية التي يمكن القول بأنها لم تترجم على الاطلاق، وهذه تمثل صعوبة بالغة، لأن اللغة العربية ليست لغة سهلة يمكن تعلمها في غضون بضعة أشهر، ولا حتى ... في بضع سنوات. من المؤكد أن أعمال بيرون Perron، وسيجنيت Seignette، وهوداس Houdas، ومارسي Marçais، وفاغنان Fagnan، وعدد قليل من المستعربين المبرزين، قدمت لحقل دراسة الشريعة الإسلامية خدمات جليلة، ولا يزال هناك الكثير من العمل الذي يتعين علينا القيام به. والمجال شاسع ورحب للنشاط المشترك للفنيين القانونيين والمستعربين المحترفين. وسيكون لهذا التعاون المشترك نتائج ايجابية تعود بالنفع المعرفي على الفريقين في مجال العلوم البحتة والممارسة الإدارية والقضائية في البلاد الإسلامية التي تقع تحت سلطة

فرنسا. وختاماً، نأمل أن يتحقق ذلك من أجل المنفعة العامة لبلدنا". بهذا المنهج قدم ليون برشي رؤيته حول القضاء في الإسلام خصوصاً في أحكام الجنايات، وقد كانت هذه الدراسة الحجر الأساس لدراسة أصول الفقه والترجمة عنه، والاهتمام بقانون الأسرة.

الورقات في أصول الفقه

ترجم برشي كتاب "الورقات في أصول الفقه" للإمام الجويني، وصدرت الترجمة في حلتها الأولى سنة 1930م في المجلة التونسية، أي بعد أربعة أعوام من إعادة طباعة أطروحته ونشرها في تونس. تميزت ترجمة كتاب"الورقات في أصول الفقه" بالدقة والوضوح في نقل المصطلح. ونظراً لأهمية الترجمة فقد صدرت أكثر من مرة وفي مراحل زمنية مختلفة.

لقد تميزت ترجمة برشي لكتاب "الورقات في أصول الفقه" بالدقة والوضوح وسلامة نقل المصطلح، وهو، كما وصفه مراجع ومحقق النسخة المترجمة، "الأمين في النقل والعارف بأسرار النص". لقد ساهم تمكُّن ليون برشي من اللغة العربية ومن المادة العلمية بحكم اختصاصه -حيث إن جل اهتمامه كان في موضوع أصول الفقه- من إخراج نص محكم الترجمة بالرغم من صعوبة المادة العلمية المترجمة. لقد تصرف المترجِم في النص المترجَم تصرفاً محموداً غير مخل بالعمل الأصل.

لقد كشف ليون برشي في مقدمته لترجمة كتاب "الورقات"، عن دواعي الترجمة التي لخصها في أهمية العمل الأصل، وأن فيه تعريفاً بمنهج تشريعي مهم عند المسلمين. وذكر أنه بمثل هذه الدراسات يمكن للباحث من المجتمعات الغربية فهم الأدوات القانونية التي يستند إليها القضاء في الإسلام. وقد أشار المترجم إلى المنهجية التي اتبعها في الترجمة والتعليق على المتن، وأنه اعتمد في ترجمته على نسختين: الأولى تونسية والثانية مغربية.

متن الرسالة:

نقل برشي "متن الرسالة" في الفقه المالكي لابن أبي زيد القيرواني المتوفي سنة 386هـ، إلى اللغة الفرنسية، وصدرت الترجمة سنة 1945م في الجزائر. ومتن الرسالة أطروحة مختصرة في أصول الفقه يخاطب بها كاتبها الصغير والكبير، وهي، كما وصفها مؤلفها رحمه الله " قد أتينا على ما شرطنا أن نأتي به في كتابنا هذا مما ينتفع به، إن شاء الله، من رغب في تعليم ذلك من الصغار، ومن احتاج إليه من الكبار، وفيه ما يؤدي الجاهل إلى علم ما يعتقده من دينه ويعمل به من فرائضه، ويفهم كثيراً من أصول الفقه

وفنونه ومن السنن والرغائب والآداب[1]". ويبدو أن هذا المنهج التعليمي كان دافعاً ومحفزاً لعدد من المستشرقين لترجمة "متن الرسالة" أو لترجمة أجزاء منها. وهو الأمر الذي دفع ليون برشي لنقله إلى اللغة الفرنسية، وقد بين في مقدمة ترجمته "لمتن الرسالة"، قوله: إن الكتاب كان محل اهتمام المترجمين، وقد نُقلت أجزاء منه إلى العديد من اللغات الأوروبية. ويشير إلى أن من أوائل المترجمين لهذا العمل كان B. Vencent فنسنت الذي قام بترجمة باب أحكام الدماء والحدود، ونشره في باريس سنة 1842م، بعنوان دراسات في القانون الإسلامي. وفي 1906م، ترجم محمد صوالح باب في الصيام إلى اللغة الفرنسية، ونشره في المجلة الأفريقية. وكذلك أشار برشي إلى ترجمة روسل Russell وعبدالله مأمون السهروردي لعدة أجزاء من متن الرسالة، مثل باب النكاح، وباب الوصايا، وباب الدماء والحدود... واسترسل برشي في ذكر ترجمة فاغنان Fagnan بوصفها ترجمة كاملة، وقد تحدث عن أهميتها وأنها ترجمة كاملة للنص، غير أنه رأى أن هذه الترجمة تحتاج إلى تصويب وتنقيح ومراجعة، وأنها تتصف بالغموض في

(1) متن الرسالة، ص: 153.

بعض المواقع، وهذا ما يؤدي إلى الوقوع في اللبس وعدم فهم النص. ويبدو أن ليون برشي لم يسلم هو الأخر من هذه الملاحظات، حيث اعيد إصدار ترجمته عدة مرات، منقحة ومراجعة ومصوبة، ومن أبرز هذه الطبعات المراجعة والمصححة، النسخة الصادرة في باريس سنة 2006م عن دار النشر النور، وأشرف على مراجعتها فريق مكلف من دار النشر. وكذلك النسخة الصادرة سنة 2012م عن دار الكتب العلمية في لبنان، التي راجعها ونقحها محمد الزاوي.

والحق يقال إن ترجمة ليون برشي جيدة وسليمة، وقد راعى المترجم مادة النص الأصلي وحافظ على سلامة المعنى الدلالي، وأن التصويبات التي لحقت بنصه المترجم أمر طبيعي فلا يوجد نص مترجم لا يقبل التعديل والتصويب. وبالرغم من هذه المراجعات، تظل ترجمة ليون برشي لمتن الرسالة، المرجع الأساسي للناطقين باللغة الفرنسية، وقد أثرت هذه الترجمة المكتبة الاستشراقية.

متن العاصمية:

ترجم ليون برشي متن "العاصمية" المسمى "تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام" لأبي بكر محمد بن محمد بن عاصم المالكي الغرناطي، وصدرت الترجمة والتعليقات عليها عن دار النشر Typo-Litho et Jules Cabronel، في الجزائر، وعدد صفحاتها 447 ص. وكما ذكر هنري بيريس Henri Perès في مقالته التأبينية الصادرة في المجلة الإفريقية سنة 1955م بأن من الأعمال الجليلة لليون برشي ترجمته لمتن العاصمية الذي قضى فيه وقتاً طويلاً ترجمة وتعليقاً. وقد نُشرت الترجمة سنة 1958م، أي بعد وفاة المترجم بثلاثة أعوام.

ويوصف "متن العاصمية" بأنه من أجل وأبرز ما أُلِّفَ في علم الوثائق وإبرام العقود والقضاء، فهي منظومة جامعة مانعة، اجتمع فيها ما افترق. ولأهميتها وسلامة نظمها ووضوح المعنى فيها، اشتغل عليها العلماء، واهتم بها المستعربون، وتعد ترجمتها ونقلها إلى اللغة الفرنسية من الأعمال الجليلة والفريدة لليون برشي، نظراً لطبيعة مادتها العلمية المتعلقة بالقانون والمنظومة شعراً. ولا يمكن الإقدام على ترجمة مثل هذا العمل من دون أن يمتلك المترجم إمكانات علمية

في الفقه وأصول الفقه، وإمكانات لغوية، وذائقة أدبية، وعمقاً معرفياً. وصاحب هذه الترجمة، درس علم أصول الفقه، وتخصص فيه أكاديمياً، ونال درجة الدكتوراه في العقوبات والجنايات، وله عدة ترجمات في هذا الحقل، منها ما يتعلق بالحديث، ومنها ما يتعلق بأصول الفقه، مثل ترجمته لكتاب "الورقات في أصول الفقه"، وكتاب آداب النكاح من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، ومتن الرسالة....

وفي اللغة العربية، ألف برشي معجماً فرنسياً عربياً، عُرف باسم "العضد اليمين للمحررين والمترجمين". أما في الأدب والشعر، فقد ترجم كتاب "طوق الحمامة"، وهي من أهم التراجم، وتُعدُّ مرجعاً للباحثين، وقد اعتمدت عليها كثير من الدراسات والترجمات التي تلت ترجمته. وعلى هذا الأساس المبني على سعة الاطلاع والعمق المعرفي، ترجم ليون برشي كتاب "متن العاصمية"، ولَقيَ استحسان الباحثين والاهتمام به، والاشتغال عليه.

ترجم ليون برشي منظومة "العاصمية" نثراً بالكامل، وعدد أبياتها 1965 بيتاً. ووصلت تعليقاته إلى ما يقارب المائتي صفحة، مع التعريف بالمؤلف.

يذكر هنري بيريس في مقدمة ترجمة برشي لـ:"منظومة العاصمة، بأن "هذا المجلد من خلال ترجمته الدقيقة والقيمة، والمزيدة بالشروحات الغنية والمعتمدة على أهم المصادر في الشريعة الإسلامية، يؤكد على قدرة مترجم العمل ليون برشي وإتقانه للغة القانونية والمسائل الفقهية. ومثل هذا العمل الذي جاء باللغتين العربية والفرنسية سوف يساهم في خدمة الأساتذة وطلبة العلم، وهو يستجيب كذلك لتطلعات القضاة من الفرنسيين والمسلمين"[1].

نماذج من الترجمة:

الحمد لله الذي يقضي ولا يُقضى عليــه جل شأناً وعلا
ثــم الصـلاة بدوام الأبـــد على الرسول المصطفى محمد

Louanage à Allah qui juge et qui n'est point jugé,
Lui dont le rang est illustre et sublime !
Ensuite, que la bénédiction divine soit éternellement
Sur l'Envoyé élu, Muh'ammad,

***

(1) أنظر مقدمة ترجمة ليون برشي لمنظومة العاصمية، ص 7: 1958.

وذاك لمـــا بُلـــيت بالقـــضا بـه شـباب مـر عـني وانقضى

وأنـني أسـئل مـن رب قضى بـه علـي الرفق منه في القضا

والحمـل والتوفـيق أن أكـون مـــن أمـــة بالحـــق يعدلـــون

حـتى أُرى مـن مفـرد الـثلاثه وجـــنة الفـــردوس لي وراثـــه

Lorsque j'eus été éprouvé par la charge de la judicature,

après que ma jeunesse s'en était allée et s'était écoulée.

Et je demande au Seigneur qui m'a imposé cette charge de me ménager lors du Jugement,

de me donner la force de la supporter et de m'accorder la grâce d'être du nombre de ceux qui sont justes par (ce qu'ils respectent) le droit,

afin qu'on me cosidère comme faisant partie de la catégorie (de juges) et que les jardins du Paradis soient mon héritage !

***

يجـوز عقـد البـيع بالتفويض في جملة الأصول والعروض
ما لم يكن في الأصل زرعٌ أو ثمرْ لم يؤبـرا فمـا انعقادهـا يُقَـرْ

Il est permis de conclure la vente par voie d'échange pour tous immeubles et bien « ard »

à condition que les immeubles ne contiennent pas de grains ou de fruits non noué. En ce cas, les contra ne serait ratifié.

❋❋❋

- الإرث يستوجب شرعا بعصمة أو بولاء أو نسب
- جميعهـا أركانه ثلاثـة مـال ومقدار وذو الوارثة

L'héritage est dû en vertu de la loi. Il est rendu obligatoir par la puissance maritale, par le patronat ou par la parenté.

Chacune de ces causes repose sur une triple condition : un patrimoine, la détermination des parts et les hérités.

***

يقول فرانسوا أوست François Ost في كتابه "الترجمة: مشهد التعددية اللغوية والدفاع عنها" عن مسألة ما يستحيل ترجمته، وإثبات أن ما لا يُترجم هو الأكثر قابلية إلى أن يُترجم من غيره"، وأن شرط ما يستحيل الترجمة هو الترجمة، ويستشهد بهمبولدت Humboldt الذي قضى 15 عاماً من حياته في ترجمة أجاممنون Agamemnon لأخيل Eschyle، وهذا لم يمنعه من استهلال مقدمته بعبارة "قصيد كهذا يستحيل ترجمته"... ويعلن في الفقرة التالية "وهذا لن يثنينا رغم ذلك عن الترجمة[1]". هذا المشهد لحركة الترجمة الذي صوره فرانسوا أوست في كتابه الذي يشكل عصارة تجربته النظرية والعملية، يدعو إلى التأمل في ترجمة ليون برشي "لمتن العاصمية"، التي قضى فيها زمناً طويلاً، ولم تصدر إلا بعد وفاته، وأن هذه الترجمة لم يكن لها أن تتم، لو لم تتضافر فيها إمكانات المترجم العلمية واللغوية والأدبية. لقد أخذ برشي بنظرية "ما يصعب ترجمته، يجب ترجمته".

(1) فرانسوا، أوست. ص، 196-197: 2016، الترجمة: مشهد التعددية اللغوية والدفاع عنها، دار جامعة الملك سعود للنشر، ترجمة إبراهيم البلوي ومحمد الجويلي.

لقد قدم لنا ليون برشي نصاً مترجماً مكتمل الأركان في مبناه ومعناه. وتميز بتعليقات وافية وضافية تدل على سعة اطلاعه. ونستشهد على ذلك بشرحه وتعليقه على المثال الثاني من نموذج الترجمة المختارة، بقوله: "وفي ذلك إشارة إلى حديث النبي (ﷺ)[1]: "القضاة ثلاثة: اثنان في النار، وواحد في الجنة: رجل عرف الحق فقضى به، فهو في الجنة، ورجل عرف الحق فلم يقض به وجار في الحكم، فهو في النار، ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس على جهل فهو في النار[2]". ويستمر المترجم بهذا المنهج في شرح المنظومة والتعليق عليها، مثرياً في ذلك البحث العلمي، ومقدماً خدمة جليلة للناطق باللغة الفرنسية. وهو في مثل هذه الترجمة يساهم في نقل تراث اللغة العربية إلى الحضارة الغربية.

(1) رواه بريدة بن الحصيب الأسلي، المصدر صحيح ابن ماجه.
(2) أنظر ترجمة متن العاصمية، ص: 249.

إحياء علوم الدين للإمام الغزالي

ترجم ليون برشي سنة 1953م، بالاشتراك مع جورج هنري بوسكيه Bousquet G. H.، "كتاب آداب النكاح"، وهو الكتاب الثاني من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي. صدرت الترجمة ضمن منشورات مكتبة كلية الحقوق في الجزائر. ويبدو أن بوسكيه، أستاذ القانون والعلوم السياسية في كلية الحقوق بجامعة الجزائر، ساهم في نشر هذه الترجمة عن طريق الجامعة. ويتناول كتاب آداب النكاح ثلاثة أبواب:

الباب الأول : في الترغيب فيه وعنه.

الباب الثاني : في الآداب المرعية في العقد والعاقدين.

الباب الثالث : في آداب المعاشرة بعد العقد إلى الفراق.

لقد اهتم ليون برشي بقضايا الأحوال الشخصية في المجتمع الإسلامي وخصوصاً في منطقة شمال إفريقيا، وهذا هو الحقل والميدان الذي يستطيع من خلاله الدخول إلى المجتمع، والتعمق في فهمه والتأثير فيه.

وبالنظر إلى نتاجه الفكري وأعماله المترجمة؛ نلحظ أن له رؤية محددة المعالم في هذا المسار. فهو يرتدي عباءة المستعرب المبشر بحضارة الغرب وبالثقافة الفرنسية. وهذا التصور يمثل -في مجمله- الرسالة الاستشراقية التي يبشر بها كل مستشرق، ويدعو إليها. يقول الان مسعودي في معجم المستشرقين الناطقين باللغة الفرنسية[1]" إنه يميل في معتقده إلى جماعة الآباء البيض"، وهذا التوصيف في الانتماء العقدي له معناه الدلالي، فهي جماعة تمارس التقية في معتقدها بهدف مسايرة المجتمعات التي يعيشون فيها، ويندمجون بها من أجل بث قيم الجماعة من دون البوح بأسرارها.

لقد اهتم برشي بقضايا المجتمع التونسي، وكتب عنه، وعن الحراك المجتمعي الذي يدور سراً وعلانية داخل المجتمع، وفي الوسط الثقافي. وعبر عن هذا الاهتمام بترجمته التحليلية لكتاب الطاهر الحداد "امرأتنا في الشريعة والمجتمع"، وصدرت الترجمة باسم مستعار "متفرج" سنة 1935، ونُشرت في مجلة الدراسات الإسلامية في تونس. وفي سنة 1950، نشر في باريس دراسة مشتركة مع مجموعة من

(1) أنظر معجم المستشرقين الناطقين باللغة الفرنسية، ص88.

المستشرقين بعنوان: "التونسيون: نهضة ثقافية". ونستنتج من ذلك، أن مكان النشر يحدد الغاية من الكتابة، ويساعد في تفكيك رموز الرسالة المراد إيصالها. لقد ساهم برشي في صياغة مشروع "الإصلاح القضائي في تونس سنة 1947"[1]، ضمن مفهوم المشروع السياسي الذي يمثله في تلك الحقبة.

ومهد ليون برشي في ترجمته "لمتن الرسالة" في الفقه المالكي لابن أبي زيد القيرواني سنة 1945، وكذلك في ترجمته الصادرة سنة 1952 بالاشتراك مع بوسكيه، "لمختصر شرح الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان" لمحمد قدري باشا، الطريق إلى ترجمة "كتاب آداب النكاح"، فكتاب "المختصر" يشرح الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية، وكتاب "متن الرسالة" يضم في أبوابه، "باب في النكاح والطلاق والرجعة والظهار والإيلاء واللعان والخلع والرضاع"، لذا لن تكون عملية الترجمة بالشاقة عليه، وهو الخبير بالمادة العلمية والمتضلع في اللغة العربية.

ومما لا شك فيه، فإن الترجمة ساهمت في نقل العمل إلى اللغة الفرنسية بأسلوب واضح، راعى فيه المترجم الدقة

(1) أنظر كتاب المستعربون وفرنسا المستعربة، ص478.

في اختيار المصطلح. يصف المترجمان العمل الأصل بأنه فريد من نوعه، وأنه لو لم يبق من التراث الإسلامي غيره لكفى به علماً. وهما يشيران كذلك إلى أهمية عملهما المترجم، بوصفه أول ترجمة إلى اللغة الفرنسية، وأنه لم يسبقهما إليه غير المستشرق الألماني هانز بوبير (1878–1937) Hans Bauer الـذي ترجـم "كتاب آداب النكـاح" سنة 1917 ونشره في هال Halle بألمانيا، ورغم أنه غير مختص بالفقه إلا أنهما رجعا إليه في بعض التعليقات على الترجمة.

في اللغة العربية والأدب

مثل ما اهتم ليون برشي بالدراسات الإسلامية واعتنى بها، فقد كانت له اهتمامات باللغة العربية وآدابها، فهو في الأساس مترجم، درس اللغة العربية لغايات تستوجبها مهامه الوظيفية. وكما يشير هنري بيريس في مقالته التأبينية، بأن برشي اختص في مجال الدراسات الإسلامية وقضايا اللغة العربية متأخراً، وأنه بعد عودته من الحجاز انتُدب للعمل مترجماً في تونس، ومن ثم ترأس قسم خدمات الترجمة لدى مفوضية فرنسا العمومية في تونس.

برزت ميول برشي تجاه اللغة والأدب العربي عندما قام بالترجمة الأدبية لمقامات الحريري، حيث ترجم "المقامة التفليسية" في 1921، ونُشرت في المجلة التونسية، ثم قام بترجمة "المقامة الشيرازية" سنة 1922، ونشرها في المجلة ذاتها. ويبدو أنه في هذه الترجمة كان متأثراً بالأعمال المترجمة التي سبقته، مثل ترجمة المستشرق الهولندي جاكوب جوليوس (1596-1667) Jacob Golius الذي نقلها إلى اللاتينية سنة 1740م، والمستشرق الفرنسي جان

جاك أنتوان كوسان دي برسفال (1759–1835) Jean Jacques Antoine Caussin de Perceval، وشيخ المستشرقين الفرنسيين كما يلقب أنتوان إسحاق سلفستر دي ساسي Antoine-Isaac Silvestre de Sacy، الذي قام بجمع المخطوط والتعليق عليه، ونشره في باريس سنة 1822. ومن الترجمات التي رجع إليها بحكم تمكنه من اللغة الألمانية، ترجمة فريدريش روكرت Friedrich Ruckert التي ذاع صيتها عند المستشرقين.

كما نشر برشي في المجلة التونسية سنة 1922، ترجمة وشرحاً لقصيدة ابن حمديس في وصف قصر المنصور بباجة التي مطلعها:

واعمر بقصر الملك ناديك الذي
أضحى بمجـــدك بيتـــه معمورا
قصر لَوَ انَّـكَ قد كحلـــت بنوره
أعمى لعـــاد إلى المقـــام بصيرا

وفي العام 1942، ترجم نصاً من كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ، وفي 1944، ألف معجم العضد اليمين للمحررين والمترجمين، وتبع ذلك في العام نفسه نشر مقال ضمن منشورات الدراسات العربية، تساءل فيه عن صعوبة تعلُّم

اللغة العربية. وكذلك في 1944، قدم دراسة نقدية لحولية الدراسات العربية حول أبي العلاء المعري عند فون كريمر Von Kremer. ومن أعماله التي يشار إليها بالبنان، ترجمته لكتاب "طوق الحمامة" التي أتمها سنة 1947، وقد سبق هذه الترجمة نشر ثلاثة أبواب من الكتاب، هي: باب ماهيـــــة الحب (1947)، وباب من أحب من نظرة واحدة (1947)، وباب الوصل (1947). وجميع هذه النصوص المترجمة صدرت في منشورات الدراسات العربية بتونس، وله كذلك جهود في ترجمة أجزء من المجلد الثالث من كتاب تاريخ الأدب العربي لبروكلمان Brockelmann.

طوق الحمامة

ترجم ليون برشي كتاب "طوق الحمامة في الأُلفة والأُلاف" لابن حزم الأندلسي 1949، وذاع صيته، ووُصفت الترجمة بأنها من أتم الأعمال المترجمة لطوق الحمامة باللغة الفرنسية، وهي خلاصة للجهود العلمية التي بُذلت، ونتاج لتجربته الغزيرة في حقل الترجمة.

يشير برشي في مقدمة ترجمته إلى أهمية المؤلَّف وندرته، وأنه كان نسخة يتيمة في مكتبة جامعة ليدن بهولندا، والفضل يعود في اكتشافها إلى المستشرق دوزي Dozy المتخصص في الأدب الأندلسي، والذي قام بترجمة جزء من المخطوط ونشره في مؤلفه: "تاريخ مسلمي الأندلس". وفي عام 1914، قام المستعرب الروسي بيتروف D. K. Pétrof الذي كان يعمل في جامعة سانت بطرسبرغ بنشر النص العربي، وطبعه في ليدن بهولندا، وفي 1931، ترجمت إلى اللغة الإنجليزية على يد المستعرب نيكـل (1885-1958) .A. R. Nykl

يذكر برشي أنه في عام 1931، قامت دار النشر الدمشقية "عرفة"، بطباعة نسخة محققة، غير أنه يشير إلى عدم وجود إضافات مهمة تذكر على النسخة التي قام بطباعتها بتروف. يذكر نزار فلوح في مقدمته لكتاب طوق الحمامة الصادر عن المكتبة العصرية، طبعة 2018، "بأن ترجمات "طوق الحمامة" حظيت بعد ترجماتها الأولى... بعـدة ترجمات إلى اللغات العالمية المختلفة، مما يدلل على قيمتها الأدبية والإنسانية لدى الباحثين والمستشرقين والقراء..."[1]

ومن الترجمات التي صدرت بعد ترجمة برشي، نذكر الترجمة باللغة الإسبانية لإميليو جارثيا جوميز Emilio Garcia Gomez في 1951، وكذلك الترجمة الحديثة لغابريل مارتينيز غروس Gabriel Martinez-Gros الصادرة باللغة الفرنسية سنة 2009، وقد اعتمد هذا الأخير على ترجمة برشي.

ولعل من دواعي اهتمام المستشرقين بالأدب الأندلسي والاحتفاء بترجمة كتاب "طوق الحمامة"، هو ملاحظة تأثّر نمط الشعر الغنائي أو ما يسمى بأدب الجوالة troubadours

(1) كتاب طوق الحمامة، ص31: 2018.

الذي ظهر في مطلع القرن الثاني عشر الميلادي في مقاطعة جنوب فرنسا[1]، ويطلق عليه الشعر البروفنسال la poésie provençale بالشعر الأندلسي[2].

وبالرجوع إلى ترجمة برشي التي صدرت في 1949، وما تبعها من تراجم لكتاب طوق الحمامة، نجد أن ترجمة ليون برشي أكثر التصاقاً بالنص الأصلي، وأن غالبية التراجم باللغة الفرنسية تستعين بنصه وتأخذ عنه مع بعض التغييرات الشكلية وفي الأسلوب، والتي تكون إما استبدال مفردة بمرادف لها، أو تغيير عبارة بأخرى. ونذكر على سبيل المثال ترجمة برشي للفظ الجلالة "الله" بـ:Alla ومارتينيز ينقله في ترجمته بمفردة: Dieu، والصواب في نظرنا ترجمة برشي، لأن كلمة Dieu باللغة الفرنسية تقبل الجمع بإضافة x. ونورد كذلك، ترجمة برشي لعبارة "الحب أوله هزل وآخره جد" بـ: « l'amour commence par le badinage et finit par des choses sérieuses »، وهي الأقرب لروح النص الأصلي لغة وبلاغة، وترجمها مارتينيز بـ: « L'amour

(1) أنظر محمد عباسة، قصيدة مجلة في شعر التروبادور البروفنسي، مجلة حوليات التراث، العدد 20، 2020.

(2) Rachel Arié, Ibn Hazm et l'amour courtois, Revue des mondes musulmans, N°40,1985/

.commence en plaisantrie et s’achève gravement »

وهذان نموذجان فقط لتوضيح مستوى ترجمة برشي لكتاب طوق الحمامة الذي مازال يوصف بالمرجع الرئيس للباحثين باللغة الفرنسية.

معجم العضد اليمين للمحررين والمترجمين

توصف صناعة المعاجم lexicographie بأنها: علم دقيق ينتمي إلى حقل اللسانيات. وقد اعتنى اللغويون بهذا العلم قديماً وحديثاً. ويعد مصنف برشي المسمى بـ: "العضد اليمين للمحررين والمترجمين" والصادر في طبعته الأولى سنة 1942 بالجزائر عن دار نشر "جول كربونل"، من أوائل المعاجم الفرنسية العربية، كما يصفه المؤلف في المقدمة. والمعجم، كما يذكر صاحبه: "يحتوي على الألفاظ والعبارات العصرية الجارية على أقلام رجال الصحافة العربية الشرقية والغربيـة إيمانـاً بمـا جاء في كتاب الفرائد الدرية"[1] لبيلو P. J. B. Belot.

لقد احتوى المعجم على 1742 كلمة مفتاحية، ورتبه برشي ترتيباً ألفبائياً. وقد تحدث في ثنايا مقدمته عن أهمية المعجم، وأنه راعى فيه استخدامات اللغة العربية المعاصرة، مع الأخذ بالفوارق اللغوية الموجودة جغرافياً، وقد أشار

(1) أنظر معجم العضد اليمين للمحررين والمترجمين، ط، 1944، ليون برشي، ص:8.

إلى أنه أخذ في الاعتبار إثراء المعجم بالألفاظ العسكرية زيادة في الفائدة، وتحقيقاً لخدمة المستعربين.

ولفهم المنهجية التي اتبعها ليون برشي لإنجاز هذا المعجم الذي أصبح في وقته مرجع للمستعربين، نشير إلى ما ذكره في مقدمته للنسخة الثانية التي صدرت في 1953، حيث يذكر "أن الإصدار الأول من هذا العمل المتواضع، الذي رأى النور وحقق نجاحا يفوق ما كنت أرجوه، حيث نفذت الطبعة الأولى في أقل من ثلاث سنوات، وهو الأمر الذي يعود لرعاية الأستاذ الجليل وليام مارسيه، عضو المعهد، والأستاذ بالكوليج دو فرانس، والسيد لويس ماسينيون، والسيد روبرت مونتاني، مدير مركز الدراسات المتقدمة في الإدارة الإسلامية. ومن نافلة القول إنني كنت أنوي إصدار طبعة جديدة، غير أنه نتيجة للظروف الراهنة لم يكن بوسعي إصدار نسخة جديدة ومحدثة. وعلى الرغم من تلك الظروف، وبحكم الصداقة المخلصة تم تجاوز تلك العقبات من أجل الشروع في انجاز هذا المشروع. لقد كان العالم والمستعرب الكبير السيد هنري بيريس لطيفا بأن تولى تلك المهمة، وهي مهمة صعبة، لجعل هذا المعجم يظهر مرة أخرى ويصدر بحلة أخرى. وهذا العمل مدين له بالعديد من التحسينات والإضافات التي أثرته. وبالنسبة للمقدمة، فقد

أصبحت، بفضل عنايته، أكثر دقة ووضوحاً. ونتيجة لهذا العمل المتقن، فإن الكل ممتن له ولجهوده، وأخص بذلك القارئ المستعرب في مجال اللغة العربية الحديثة.

وبالاطلاع سيتبين لنا أن هذه الطبعة قد تغيرت بشكل كبير، وهي نسخة مزيدة ومحدثة. وفي الواقع، فإنه في الفترة ما بين عامي 1939 و1940 على وجه الخصوص، تمكنت من جمع وثائق جديدة استمديتها بشكل أساسي من قراءة الصحافة في المشرق. وهكذا تمت معالجة الجذور الإضافية ودمجها في المعجم بأرقام "مكررة". لقد اضطررت إلى اللجوء لهذه العملية لتجنب إجراء تعديل شامل. لقد تبنيت هذه المنهجية فيما يخص ترقيم الجذور في كل من الجزء "العربي-الفرنسي" وفي الفهرس، بهدف التيسير على القارئ.

وكما اقتضت الظروف، فقد تم إثراء المفردات العسكرية بشكل خاص في هذه النسخة، ولم تتوقف الإضافات عند هذا الحد. لقد أثري العمل بالمفردات الجديدة والمرادفات التي تنتمي لمجمل مجالات اللغة العربية الحديثة. وقد جاء هذا التحديث نتيجة للمستويات اللغوية التي تتمتع بها اللغة العربية، حيث إن ما يعبر عنه بالمشرق قد يعبر عنه بطريقة مختلفة في المغرب، فحتى مستوى اللغة في تونس يختلف

عما هو موجود في الرباط، وهذا الاختلاف يندرج على الحالة اللغوية في القاهرة أو في دمشق.

وعلى هذا الأساس، فإنه كلما أتيحت لي المناسبة، أجري ملاحظاتي حول هذه التباينات اللغوية. لقد لاحظت أيضاً العديد من الخصائص النحوية التي بدت لي أهمية الإشارة إليها، خاصةً فيما يتعلق بالاستخدامات الدقيقة لحروف الجر. وهذه الملاحظات ما زالت في مجملها قيد الدراسة والبحث، وهذا ما سيلاحظه القارئ.

وفي هذا الإطار، اسمحوا لي أن أؤكد أن هذا المعجم ليس إلا استمرارا لقاموس "المفردات" الذي عمل عليه الأب جان باتيست. بيلو Jean-Baptiste Belot . لذا، من المهم الرجوع أولا لمعجم بيلو، كي تكتمل الفائدة، ويمكن تجاوز ذلك لمن لديهم الخبرة الكافية والإطلاع اللازم، ولن أوصي بعدم الرجوع إلى غير هذا المعجم الذي أصدرته.

وإنني لعلى يقين بأن هذا المعجم غير كامل وغير مكتمل، لكنه يشكل في جوهره أداة تساعد الباحث في تحديد ظاهرة تطور اللغة العربية الحديثة. والعمل المعجمي كما هو معروف ومتعارف عليه متغير ومتطور، ومن دواعي اعتزازي أنني من بين الأوائل الذين اعتنوا بالعمل المعجمي،

وإنني أدعو كل من يستخدم هذا المعجم بالمساهمة في تطويره وإجراء الإضافات المستخلصة من القراءة.

وأخيراً، فإنه بالرغم من التدقيق اللغوي والمراجعة، فما تزال هذه النسخة الجديدة تحتوي على بعض الأخطاء المطبعية، وقد تم التنويه على ذلك في بداية المعجم".

وبالقراءة الدقيقة والمعمقة لهذه المقدمة، نتعرف على الآلية والمنهجية التي اتبعها ليون برشي لعمل هذا المعجم، وكذلك نتعرف على مفهومه لصناعة المعاجم ومستقبلها وأهمية العناية بها من قبل المستعرين، ودعوته لمنهج العمل التكاملي بحيث يتم تطوير معجمه من قبل القارئ المستعرب ليكون ملائماً لمقتضيات العصر، وفي توافق مع التباين اللغوي الذي يجده مشهداً لغوياً محفزاً للبحث العلمي في قضايا اللغة العربية الحديثة.

مقتبسات من برشي

قدم ليون برشي كلمة في الإذاعة التونسية، ونشرتها المجلة الزيتونية[1] بعنوان: "المستشرقون". وقد جاءت الكلمة كما نُشرت في المجلة الزيتونية على النحو الآتي:

"أيها المستمعون الكرام

اسمحوا لي قبل البحث في موضوعنا هذا أن أتلو على مسامعكم نبذة مما كتبه أحد مؤرخي الأدب العربي المصري في مصر، في شأن المستشرقين وما قاموا به من الأعمال، قال: "المستشرقون هم جماعة من علماء الغرب تفرغوا للبحث في الآثار الشرقية. ولما كانت اللغة العربية أرقى لغات الشرق وأغناها بالمؤلفات الخطيرة، كثر الراغبون في دراستها والمقبلون على تحصيل آدابها. وقد نبغ من فضلاء

(1) مجلة علمية أدبية أخلاقية تصدر عن هيئة مدرسي جامع الزيتونة. صدر المجلد الأول منها في سبتمبر 1936 الموافق رجب 1355هـ، وصدر المجلد الأخير منها عام 1955 الموافق 1374هـ.

الأجانب أفراد أماثل بلغوا من العربية مبلغاً بعيداً، ووضعوا في لغاتهم تأليف غراء عن لغات العرب وأدبياتهم وأخلاقهم وأخبارهم وسائر شؤونهم، لا يتمالك المطلع عليهم من الإعجاب بسعة علمهم ودقة نظرهم، فضلاً عما هو مشهور من بُعد غورهم في المباحث العلمية وحنكتهم في حل المشكلات واستجلاء الغوامض؛ بما فُطروا عليه من الولوع في التنقيب والتنقير والعناية بجمع الآثار وأمهات الكتب للمقابلة والتنظير والاستنتاج، فأماطوا اللثام عن كثير من مبهمات المسائل؛ فجاؤوا بالعجب العجاب. ولم تقف خدمتهم لهذه اللغة عند هذا الحد، بل استنطقوا الألسنة بعاطر الثناء على همتهم وأريحيتهم؛ بما نشروا من آثار السلف التي أخرجوها من زوايا النسيان فجعلوها من قراء العربية على حبل الذراع. ولهم في إبراز المكنونات الثمينة مزايا فريدة من الدقة والأمانة والعناية...."

إن هذا الاعتراف بفضل المستشرقين الصادر من مؤلف شرقي، جدير بشكرنا وامتناننا نحن معشر المستعربين، ولو كان فيه ما فيه من المبالغة... إذ أعمال المستشرقين كسائر الأعمال البشرية لا تخلو من الهفوات والغلطات، وإن كان في مجموعها السمين راجحاً والغث مرجوحاً.

ولكن ما كان الداعي الذي حمل الإفراج على الاشتغال بلغات وأدب الشرق وخصوصاً باللغة العربية؟ من المعلوم أن اللغات الشرقية كانت مجهولة أو تكاد في أوروبا قبل الحروب الصليبية، وأول من تعاطى دراستهم الرهبان بإيعاز من الباباوية في القرون الوسطى إلى القرن السابع عشر من المسيح. وما كان الغرض من ذلك ـ والحق يقال... إلا غرضاً دينياً محضاً يتجلى لنا في مظهرين: أولهما رغبة الباباوية في حل بعض المعضلات والمعميات التي كانت عالقة بالكتب الدينية، فاضطر الرهبان إلى دراسة العربية كي يستطيعوا القيام بأداء المهمة الملقاة على عواتقهم إذ كانت العلوم العربية المترجمة عن كتب أرسطو وغيره أحسن معوان على ذلك ـ والمظهر الثاني من هذا الغرض كان تعميم دين النصرانية في الشرق ـ إلا أنهم أخفقوا الإخفاق التام من هاته الوجهة الأخيرة ولم تكلل مساعيهم بالنجاح إلا من وجهة أعم وأنفع للبشرية، ألا وهي إماطة اللثام عن المدنية العربية وتشجيع النصارى على اقتطاف ثمارها.

ولقد كانت للكتب العربية التي نقلها الرهبان من مؤلفات أرسطو وأمثاله الفضل في إنارة عقول الإفرنج كما أنارت عقول العرب قبلهم.

فمن ذلك التاريخ تطورت أفكار متنوري الإفرنج نحو الشرقيين عامة ونحو العرب خاصة فأخذوا في تعلم اللغات الشرقية حبا في العلم لذات العلم وشفاء لغليلهم وتعطشهم إلى مناهل تلك اللغات المعبرة عن أفكار أناس لا يمتون إليهم بصلة الدم والرحم، بل برابطة الذهن الوقاد والسعي المشترك وراء تحقيق الأمثلة العليا التي ينتهي إليها طلب العلم والبحث عن مكامنه أينما وجدت.

بقي علينا أن نستعرض أعمال نخبة من المستشرقين، منذ القرن السابع عشر، حتى نرى هل أن الثناء العاطر الذي وجهه إليهم المؤلف الشرقي الكريم مع زمرة من زملائه المعروفين، كان في محله، وهل أصاب مدحه كبد الحقيقة أم أخطأ الهدف إطراء. ولنقتصر لضيق الوقت والمقام على اختيار أشهر المشاهير منهم.

من بين مستشرقي القرن السابع عشر يجدر بنا أن نذكر أولاً Thomas Erepenius ثم تلميذه Jacob Golius الهولنديين، ثم بعد ذلك Barthélémy d'Herbelot الفرنسوي. ولد Thomas Erpenius van Erpe سنة 1584 في بلدة بركم بهولندا ودرس اللغات الشرقية في جامعة ليدن تحت إرشاد Joseph Skaliger أحد المستشرقين الهولنديين، ثم سافر

إلى فرنسا وانجلترا وايطاليا وألمانيا حيث استكمل معلوماته في اللغات الشرقية، وخصوصاً العربية، وكان ذلك بفضل معاشرته لبعض الشرقيين المقيمين هنالك. ورجع سنة 1613 إلى وطنه حيث عُيّن أستاذاً في جامعة ليدن، ثم ترجم للحكومة الهولندية واعتنى بإنشاء مطبعة شرقية، وأشهر مؤلفاته كتاب في الصرف والنحو جُدِّد طبعه ثلاث مرات، وهو عبارة عن ملخص مفيد شامل لقواعد اللغة العربية مصنف بغاية الوضوح مؤلف باللغة اللاتينية التي كانت إذ ذاك لغة العلم والعلماء. وقد ترجم أيضاً إلى اللاتينية تاريخ الكين وأمثال لقمان الحكيم، وفاز Erpenius بشهرة خالدة في إحياء اللغة العربية في الغرب وكان لكتبه انتشار عظيم.

أما Golius فانه ولد بلاهاي عاصمة هولندا سنة 1596، وتخرج من جامعة ليدن أيضاً حيث درس اللغات الشرقية، وخصوصاً العربية، تحت إرشاد Erpenius، ثم سافر في أوائل القرن السابع عشر إلى المغرب الأقصى حيث أقام مدة مع سفير هولندا هناك، وبعد أوبته إلى مسقط رأسه خلف Erpenius في تدريس اللغة العربية بالجامعة، وبعد ذلك سافر إلى الشام؛ لا لأغراض تجارية كما قيل غلطاً؛ ولكن للبحث عن مخطوطات عربية قد سمع بوجودها في تلك

الديار، ثم رجع إلى هولندا حيث كرّس بقية عمره للعلم وتصنيف كتب ثمينة، منها المعجم العربي اللاتيني الشهير، المطبوع في ليدن سنة 1653 وهو من أهم المآخذ التي عول عليها مستعربو الإفرنج فيما بعد، لتصنيف قواميسهم العربية وذلك لغزارة مادته ودقة وضعها. ومما نشره Golius أيضاً: أمثال الطغرائي، وتوفي سنة 1669.

أما Barthélémy d'Herbelot فإنه ولد في باريس سنة 1635، والتحق بجامعتها حيث عُني بتعلم اللغات الشرقية، ثم قصد إيطاليا واختلط في ثغورها بالنزلاء الشرقيين. وعند عودته إلى فرنسا انتدبه Fouquet وكيل المالية إذ ذاك تحت رئاسة الوزير الخطير Mazarin لديوانه الخاص. وكان Fouquet حامياً للعلماء والأدباء فقرر لـ d'Herbelot مرتباً سنوياً يكفيه مؤونة المعاش. فتيسر له الانقطاع إلى العلم. ثم بعد اعتزال Fouquet عُـيِّن كاتبَ سر ومترجماً للغات الشرقية في بلاط الملك لويس الرابع عشر، ثم بعد ذلك رجع إلى إيطاليا حيث أهدى إليه الغراندوق فرديناند التوسكاني Ferdinand (grand duc de Toscane) مجموعة من أنفس المخطوطات الشرقية. ثم عاد إلى فرنسا باستدعاء من الوزير الجليل Colbert فاستقبله الملك لويس الرابع عشر بكل

ترحاب وعينه مدرساً للغات الشرقية بمعهد فرنسا بباريس إلى أن توفاه الله سنة 1695. ومن مؤلفاته القيمة كتاب سماه "الكتبة الشرقية" Bibliothèque orientale التي هي عبارة عن دائرة معارف شرقية باللغة الفرنسية مرتبة على حروف الهجاء وألحقت بها -فيما بعد- زيادات مهمة من طرف المستشرق الفرنساوي والمستشرقيين الألمانيين Reiske et Schultens الذين كانوا في طليعة مستشرقي القرن الثامن عشر.

أيها المستمعون الكرام،

هذا ما تيسر اليوم من الكلام على المستشرقين وأعمالهم، وعند فرصة أخرى سنتعرض لذكر بعض مشاهير القرون التالية فإلى اللقاء عن قريب إن شاء الله".

وفي أطروحته لنيل درجة الدكتوراه بين **ليون برشي** أهمية الرجوع إلى السنة النبوية، حيث ذكر في المقدمة: "سيتعين علينا أيضاً أن نلقي الضوء على الدور المهم "للسنة[1]"... وهي مصدر تشريعي مهم فيه الكثير من المسائل القانونية...". ولفهم مراتب الحديث، فقد أخذ ليون برشي بمنهج الجرح والتعديل في الحديث.

(1) أنظر مقدمة الرسالة.

وقد اهتم ليون باختيار المواضيع والكتب التي ترجمها، حيث يبين في مقدمته لترجمة كتاب "الورقات في أصول الفقه" للإمام الجويني، دواعي اختياره لترجمة هذا الكتاب، بقوله: "لقد اعتنى العلم في الغرب بشكل كبير بدراسة الفقه الإسلامي النظري والعملي، حيث قُدمت في هذا الموضوع الواسع الكثير من الأعمال الأصيلة، والإصدارات، والترجمات للأعمال الموثوقة والمعتبرة في هذا الحقل. ولكن يبدو أن هذه الدراسات أهملت علماً نجده قريباً جداً من الدراسات الحقوقية وهو يحظى بمكانة رفيعة لدى المسلمين، إنه علم أصول الفقه، أو منهجية القانون. وفي المجمل وبشكل مجرد، فإن علم أصول الفقه يختلف عن الفقه في أن هذا العلم يميل إلى تطبيق المنطق على التفسير القرآني والسنة النبوية وعلوم اللغة. أصحاب هذا العلم يرون أنهم يفسرون نشأة التشريعات الوضعية. والأفضل من ذلك، أنه يوفر الوسائل النظرية التي سيتعين استخدامها لصياغة أحكام تشريعية جديدة لحالات لم تقع ولم يتم توقُّعها. باختصار، هو قانون توليدي يستمد تشريعاته من المصادر "الثوابت". ومن هذه المنطلقات، فإن أصول الفقه يتقدم على علم الفقه الذي يرتبط بشكل أساسي بالقاضي والمسؤول. وأما أصول الفقه، فإنه يتم توجيهه عملياً فقط إلى السلطات الإسلامية

التشريعية العامة أو الخاصة، أو إلى من يملكون حق إصدار الرأي القانوني كالأمير أو ممثليه أو المفتي. وهذه الملاحظة هي التي قادت بعض العقول إلى الاعتقاد بأنه يوجد في المنهجية التشريعية الإسلامية وسيلة رائعة، عملية وملتزمة بالثوابت، لإدخال إصلاحات في القانون الإسلامي أضحت ملحة في زمن التقدم والتطور الحديث. ومن هذه العقول المجددة، سواس باشا[1] في كتابه: دراسة حول نظرية القانون الإسلامي، الذي نُشر في باريس سنة 1902م في زمن تكاد تكون فيه البلدان الإسلامية عطشى للحداثة، تبحث عن أسباب تدفع الإسلام للأقلمة مع الحضارة الغربية من دون أن تمس الثوابت، وهي في هذا الجانب من إحدى المظاهر الأكثر غرابة والمؤثرة، ولكنها أيضاً غير المجدية. في الواقع، هناك بعض السذاجة في الاعتقاد بأن التشريع هو نتاج العقل الخالص، وأنه غير خاضع ومتأثر بالعامل التاريخي، أو الاجتماعي، أو النفسي، الذي يساهم بدوره في إحياء جميع القوانين البشرية. والحق يقال، إنه

(1) ورد أسمه صفا باشا وسفا باشا. كان والياً في عهد الدولة العثمانية وناظرا، وعمل وزيراً للشؤون الخارجية. توفي في باريس سنة 1901. طبع كتابه في عام 1892م، وهو في الأصل محاضرات، والطبعة الثانية التي رجع إليها ليون برشي في مقدمته صدرت في عام 1902، بعد وفاة المؤلف بعام.

حتى في التشريعات ذات المصدر الرباني، فإن للعادات والتقاليد الحظ الأوفر من القدر في تشكُّل القوانين. لذا، فإنه من الخطأ الاعتقاد بأن المنهجية القانونية لم يكن لها أي تطبيق عملي، بل نعتقد بأن تلك المنهجية استخدمت بشكل متكرر للتبرير، لأسباب قانونية صرفة ومتوافقة مع الثوابت التقليدية والقوانين والممارسات الخاضعة للأعراف والتقاليد. وهكذا في كثير من الأحيان يأتي القانون لمحاسبة حالة الواقع. وتعتبر هيبة القانون السبب الوحيد للوقائع التي يُقتصر في تكريسها على الواقع. والكتيب الذي نقدمه اليوم للترجمة والتعليق عليه، معروف عند العامة والخاصة من المسلمين، ويحظى بمكانة رفيعة، إنه عمل تراثي، ولا يوجد طالب علم يجهله. نعتقد بفائدته، وأهمية أن يكون في متناول هؤلاء المهتمين بقضايا الإسلام وهم كثر. ومن المستحسن، بل نجده من الضروري، أن يكون لدى المهتمين بفهم روحانيات المسلمين وفكرهم، رؤية ثاقبة حول تصور علماء الإسلام لنشأة قانونهم. ولعل القارئ لا يُفاجأ من الطابع الخطابي للنص والمبالغة في التدقيق، وأحياناً كثرة الاستدلالات والشروحات للمؤلف. ومن المهم أن نعرف أننا أمام نص كُتب في القرن الحادي عشر للميلاد، وأنه منذ أكثر من قرنين من الزمان، لم يعمل معجمو مدرسة بولون

على نصوص من القانون الروماني وفقاً لمناهج متعددة. لقد اعتمدت في ترجمة النص وكتابة الحواشي على طبعتين من كتاب " الورقات". الأولى، صدرت في تونس عن (المطبعة التونسية)، مذيلة بتعليقات الإمام الحطاب، ونقحها العلامة التونسي محمد بن حسين الهده. والطبعة الأخرى، نسخة مغربية، مطبوعة بالحجر من دون الإشارة إلى أصلها، وهي تضم نص كتاب "الورقات" بشرح الإمام الحطاب، وتحقيقاً جميلاً للقاضي العلامة (b. Hadra) المغربي من القرن الماضي"[1].

(1) نص مقدمة ليون برشي لترجمته لكتاب الورقات في أصول الفقه، ص ص 21-25.

ما قيل عنه

ساهم ليون برشي في الحراك الفكري الذي توجهه المدرسة الاستشراقية آنذاك. وفي هذا السياق يذكر نذير حمدان في كتابه: مستشرقون سياسيون، جامعيون، مجمعيون أن "من الشخصيات الجامعية في تونس ليون برشي الذي كان يجمع بين الوظيفة العسكرية والإدارية حيث كان ضابطاً ومدير معهد الدراسات العليا (1950). ومن آثاره: ترجمة كتاب "الإسلام وأصول الحكم" لـ علي عبدالرازق (1933-32)، وتحليل فتوى كبار علماء الأزهر في هذا الكتاب، ومقتطفات من كتاب: إحياء علوم الدين للإمام الغزالي (1953)، ومقتطفات من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وله أيضاً ترجمات أخرى مثل: التحفة العاصمية لأبي عاصم في الفقه المالكي، ونهضة الإسلام لآدم متز .Adam Mez"[1] والصواب أنه لم يقم بترجمة كتاب "الإسلام وأصول الحكم"، بل قدم دراسة تحليلية، ونشرها في المجلة التونسية.

---

(1) نذير حمدان، مستشرقون : سياسيون، جامعيون، مجمعيون، 1988، ص83.

ويصفه الان مسعودي Alain Messaoudi[1] بالشخصية الغامضة التي تحاول الجمع بين شخصية الأستاذ الجامعي الأكاديمي وبين الشخصية التي جاءت لخدمة مشروع سياسي. ويقدمه كذلك على أنه كاثوليكي ملتزم، يميل في معتقده إلى جماعة "الآباء البيض Les Pères Blancs[2]". ويصفه عبدالحميد صالح حمدان في كتابه "طبقات المستشرقين" كما جاء وصفه في معظم الدراسات ولدى الباحثين في قضايا الاستشراق بأنه: "كان في البدء ضابطا مترجما، ثم تدرج في عدة وظائف إدارية في تونس، وصار في 1950 مديراً للدراسات في معهد الدراسات العليا في تونس... وترك بعد وفاته مخطوطا ترجمة فرنسية للمجلد الثالث من "تاريخ الأدب العربي" لبروكلمان، وترجمة فرنسية، بالاشتراك مع لوكونت، لكتاب "نهضة الإسلام"،

(1) أستاذ في جامعة نانت الفرنسية، متخصص في التاريخ المعاصر وفي الاستشراق الفرنسي في العالم العربي.

(2) في عام 1868 أنشأ الكاردينال الكاثوليكي شارل لافيجري Charles Lavigerie جمعية في الجزائر عرفت باسم الآباء البيض.. نسبة للأردية البيضاء التي يلبسونها بهدف التناغم مع البيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها. وقد كان لهم نشاط كبير في الحياة الاجتماعية وفي التعليم في الجزائر، (alencyclopedia.com).

وكذلك ترجمة فرنسية لكتاب "التحفة" لابن عاصم، وهي في الفقه المالكي"[1].

وحول اهتمام برشي بالفقه الإسلامي، يذكر عبدالواحد جهداني في مقالته التي نشرها حول "المستشرق الفرنسي روبير برنشفيج وآثاره" بقوله: "ومن المعلوم أن الاهتمام بالفقه الإسلامي وبتدريسه في فرنسا، وخصوصا الفقه المالكي، قد تزايد منذ نهاية القرن 19م؛ أي بعد بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م؛ وذلك بسبب ارتباط سلطة الاحتلال بالمعرفة الاستشراقية. وضمن الوجوه الاستشراقية خلال هذه الفترة نذكر ميليو، وبوسكي، وليون برشي ..."[2].

ومن منظور أخر، علق الكاتب صادق سلام[3] صاحب كتاب "فرنسا ومسلموها: قرن من السياسة الإسلامية 1895-2005"، على ترجمة برشي لكتاب الورقات في أصول الفقه" للإمام الجويني، بقوله: "إن الترجمة لهذه الأطروحة

(1) أنظر ص (95): طبقات المستشرقين، عبدالحميد صالح حمدان، 1990.

(2) عبدالواحد جهداني، ص 25: 2016، مجلة افاق الثقافة والتراث.

(3) باحث فرنسي من أصل جزائري، متخصص في الدراسات الإسلامية.

الصغيرة التي كان يعلمها المستعرب العظيم ليون برشي لطلابه -في القرن الحادي عشر- ويحفظونها عن ظهر قلب، هي محل الدراسة والتحقيق لهذه الطبعة. وإن ما يبرر إعادة نشر هذه النسخة المترجمة، هو الاهتمام بالموضوع الذي تمت معالجته، ومكانة المؤلف في تاريخ الفكر الإسلامي، وكذلك أمانة المترجم وعمقه المعرفي. وسوف يخدم هذا العمل مؤسسات التعليم العالي الخاصة التي نشأت حديثاً في فرنسا...."[1].

ويرى إحسان عباس محقق كتاب "رسائل ابن حزم الأندلسي، الصادر سنة 1983 عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر بأنه: "منذ أن أصدر المستشرق بتروف طبعة من كتاب طوق الحمامة (1914) اعتمادا على النسخة الوحيدة منها المحفوظة في ليدن بهولندة، توالت الأيدي على طبع هذه الرسالة في الشرق وعلى ترجمتها في الغرب، ولا بد أن يكون لهذه الرسالة أهمية خاصة حتى تنال كل ما نالته من عناية حتى اليوم. وقد كانت معظم الطبعات التي صدرت في المشرق العربي عالة على طبعة بتروف، وهي طبعة أمينة للأصل المخطوط، ولكن هناك مواطن تحريف

(1) أنظر ص (15): الورقات في أصول الفقه، ترجمة ليون برشي، تحقيق صادق سلام، 1995م.

في القراءة...وقد كان أجرأ من حاول الخروج عن قراءة بتروف هو ليون برشيه، الذي "نشر" طوق الحمامة مع ترجمة فرنسية (الجزائر، 1949)، ولكن برشه، رغم التوفيق الذي واكبه في بعض القراءات، أسرف أحياناً في البعد عن الأصل المخطوط، طلبا لصحة المعنى واستقامته"[1].

وحول قضايا المجتمع المتعلقة بالأسرة، يشير عدداً من الباحثين المهتمين بالدراسات الاستشراقية، بأن ليون برشي اعتنى بهذه القضايا، وبرز هذا الاهتمام من خلال كتاباته وترجماته التي تناولت موضوع الأسرة المسلمة، وتعمق في دراسة أصول الفقه حيث قدم جملة من الأعمال المترجـــمة سبـق ذكرها وتقديمها. وفي هذا الإطار نشير إلى ما ذكره طارق السيد في مقالته المنشورة بعنوان: "الاستشراق وقضايا المرأة المسلمة"، حيث يقول: "وممن كرس دراساته لقضايا المرأة والأسرة المسلمة... المستشرق الفرنسي ليون برشي... وكان تركيزه على أحكام الأسرة وأحوالها."[2]

---

(1) أنظر ص (19): كتاب رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، 1983.

(2) الاستشراق وقضايا المرأة المسلمة، طارق السيد. Lahaonline.com

عرف ليون برشي لدى المقربين منه باللطف ودماثة الخلق والكفاءة والعمق المعرفي، وحبه للمكان الذي عاش فيه واندمج في مجتمعه، وقد عبر صديقه هنري بيريس الذي كان يقيم في الجزائر عن هذه الصفات التي تمتع بها برشي في مقالته التأبينية التي ذكرها وتناولها في باب "برشي في عيون المستعربين".

والخلاصة، أن مجمل ما قيل عن ليون برشي بوصفه مستشرقا، قيل في جل المستشرقين. فقد وصف بالباحث المتمرس والخبير المختص في الفقه المالكي، والمترجم البارع، وأنه من أوائل المستعربين الذين اهتموا واعتنوا بصناعة المعاجم اللغوية، حيث برز في هذا المجال عندما قدم للمستعربين معجمه الموسوم بـ:"العضد اليمين للمحررين والمترجمين". وفي المقابل، نجد وصفه بالضابط العسكري، وهذا الوصف يتكرر في مجمل الدراسات التي تناولت قضية الاستشراق والمستشرقين، ومثل هذا التوصيف يكرس حالة من الشك والتشكيك في الاتجاهات والتوجهات لدى برشي، وهذا بحكم عمله في الإدارة العسكرية وتسخير جهوده لخدمة هذه الإدارة التي تعتمد على كتابات المستشرقين لفهم المجتمعات تاريخياً وحضارياً للسيطرة عليها مادياً ومعنوياً،

وبث قيمها التي ترى فيها النموذج الأمثل لتقدم تلك المجتمعات. وتبرز هذه الرؤية الفوقية من خلال الدراسات الانتقائية لكتب التراث لخلق حالة من القطيعة المعرفية بين الماضي والحاضر.

برشي في عيون المستعربين

حظي ليون برشي بمكانة رفيعة لدى المستعربين الذين عاصرهم وعايشهم بحكم منزلته العلمية وما يتمتع به من سعة في الاطلاع وغزارة في الإنتاج. رجع إلى كبار المستشرقين وترجم عنهم، مثل إغناطس جولدتسيهر، وبروكلمان، ونولدكه، وحقق بعض التراجم وصوبها من التصحيف والتحريف، مثل كتاب "متن الرسالة" لابن أبي زيد القيرواني التي ترجمها فغنان، وأعاد برشي الترجمة منقحة ومصححة.

ومن أجود ما كُتب عن ليون برشي في وصف آثاره ومآثره، المقالة الرثائية التي كتبها صديقه هنري بيريس، وعنونها باسم صاحبه (ليون برشي) عنوان وفاء وإخلاص. نُشرت المقالة في حولية الدراسات الإفريقية سنة 1955م. تحدث بيريس في المقالة عن برشي بإطناب، واصفاً سيرته ومسيرته، معبراً عن حزنه وأساه، وكأنه عندما تلقى النبأ، قد تجسد قول امرئ القيس:

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله
علـيَّ بأنـواع الهمـوم ليبتلـي

يقول هنري بيريس في مقالته:[1] "تلقيت في برقية من تونس نبأ وفاة صاحبي ليون برشي الذي وافته المنية في 23 يناير 1955م، بعد معاناة مع المرض... وتجمعني به صداقة منذ عام 1931م، وهي ذكرى مرور خمسين عاماً على الوجود الفرنسي في تونس التي كانت قبلة للعديد من الشخصيات التي تنتمي إلى الجامعة والسلك الإداري، جاءوا من كل مكان من شمال إفريقيا، ومن عواصم الدول المجاورة، ومن غرب ووسط حوض البحر المتوسط. لقد ازدادت هذه الصداقة متانة في السنوات التي تلت هذه الذكرى نظراً لوجود الكثير من العوامل والسمات المشتركة، خصوصا في أساليب العمل.

درس في بداية حياته العلوم والرياضيات، ولم يتعلم اللغة العربية إلا في وقت متأخر نسبياً، نتيجة لأسباب وظروف عارضة. ولد برشي في بلفور في 7 يوليو 1889م، ولازم والده في تحركاته حتى استقر به المقام في قسطنطينة، ومن ثم في الجزائر العاصمة. كان والده طبيباً عسكرياً. حصل على الثانوية في 1906م، وفي شهر نوفمبر التحق بكلية العلوم في الجزائر العاصمة...عُيِّن بعد التخرج

(1) H Pérès, « Léon Bercher », Revue africaine, 1955, p.234-240.
مجلة الدراسات الإفريقية

في الجنوب التونسي بمدينة مدنين، والتحق بعمله الجديد سنة 1914م، كان ذلك قبل نشوب حرب 1914-1918م بأشهر قليلة. وفي عام 1916، اختير ليكون ضمن البعثة الفرنسية المتوجهة للحجاز بقيادة العقيد بريموند. مثلت هذه الرحلة فرصة مناسبة لبرشي للتعرف على مهد اللغة العربية وموطن أدبها، وهذا ما سيتأثر به لاحقاً.

عُيِّن بعد عودته من جزيرة العرب في مدينة فاس بالمغرب، غير أنه لم يمض وقت طويل حتى تم استدعاؤه للعمل مجدداً في تونس في مدينة جرجيس، ثم في تطاوين، ولم يثنه ذلك عن مواصلة الدراسة، ففي عام 1920م، تحصل على شهادة الدبلوم العالي في اللغة العربية من تونس، ومن ثم التحق بكلية الحقوق في فرنسا باكس ان بروفانس متخصصاً في دراسة القانون الإسلامي (أصول الفقه).

وفي عام 1921م، عُيِّن برشي رئيساً لقسم خدمات الترجمة التحريرية والشفوية بعد استقالة مترجم الأمانة العامة بطلب وإيعاز من الأمين العام للحكومة التونسية الجنرال بيو G. Puaux. وعلى الرغم من هذا العبء الثقيل والتكليف المهم، فقد واصل برشي تحصيله، وقد ساعده في ذلك الأستاذ الكبير وليام مارسي رئيس المدرسة العليا للآداب العربية بتونس.

تنوعت اهتمامات برشي بين دراسة القانون، والترجمة، والتعليم. بعد حصوله على درجة الدكتوراه في القانون الإسلامي سنة 1926، عُهد إليه برئاسة قسم القانون الإسلامي في المدرسة العليا للغة العربية وآدابها بتونس. لقد كان مثابراً وحريصاً على تعميق معارفه في أصول الفقه، واللغة العربية، والثقافة العامة من خلال دراسة المستعربين وعلماء الإسلام. وقد ساعد تمكنه من اللغة الألمانية في ترجمة بروكلمان، وجولدتسهير، وآدم متز، ونولدكه. اهتم أيضاً بالأدب العربي الحديث نثراً وشعراً. وتعد مساهماته في دراسة اللغة العربية الحديثة استثنائية.

ترتبط مسيرة ليون بيرشي بتاريخين مهمين: في عام 1947م، عُيِّن مستشاراً عند وزير العدل التونسي، وقد قبل هذا المنصب على مضض. وفي عام 1950م، عُيِّن مديراً للدراسات العربية في معهد الدراسات العليا بتونس، وكان ذلك نتيجة لما حققه من تميز في دراساته لأصول الفقه، واللغة العربية وآدابها.

في 30 ديسمبر 1949م، رقي إلى رتبة مقدم احتياطي، وفي 30 ديسمبر من نفس العام رقي إلى رتبة مدير عام (غير عادي) في الحكومة التونسية.

لقد تألمنا لفراقه، وهو فراق أوجع محبيه وأصحابه ومريديه. عُرف برشي بقربه من الجميع، وعرفه كل من اقترب منه بدماثة الخلق وغزارة العلم. فقدناه جميعاً، لقد فقدته تونس مثل ما فقدته فرنسا، وفقده معهد الدراسات العليا بتونس مثل الجامعة الفرنسية. فقدنا عالماً علماً وإنساناً، ستبقى ذكراه محفورة في الوجدان".

كثيراً ما يُوصف المستشرقون في أوطانهم، بأن بينهم وبين العلوم الحديثة قطيعة، نتيجة لإغراقهم في دراسة التراث وابتعادهم عن مراكز التطور والتقدم العلمي. وهذه أحكام تعبر عن صورة نمطية تجاه المستعمرات وأهلها، وهو الأمر الذي دفع كل مستشرق إلى الإبداع في أعماله العلمية والإخلاص لحكومة المستعمرات، طمعاً في رضاها وخوفاً من هذه الأحكام المسبقة.

لقد حظي ليون برشي بالتقدير والثناء من الأصدقاء، والزملاء ومن المجتمع الذي عاش فيه وتعايش معه، ونال وده وتقديره. ونتيجة لجهوده الفكرية وأعماله، كرمته الحكومة الفرنسية وحكومة إدارة المستعمرات بوسام فارس جوقة الشرف في 11 جولاي 1935م، ووسام الكفاءة الإدارية في 14 جولاي من العام نفسه. وفي عام 1938م، نال وسام "نيشان الفخر".

يذكر الدكتور محمد فتح الله الزيادي في كتابه "الاستشراق[1]: أهدافه ووسائله"، أن الاستشراق الفرنسي ضم بين صفوفه "الكثير من ضباط القوات المسلحة الفرنسية، وأتاح لهم عملهم في المستعمرات الفرنسية النبوغ في ميدان الدراسات الشرقية في مختلف جوانبها، ونذكر من هؤلاء جاكو ومنتان وبرشي". وننهي هذا الجزء بالإشارة إلى نبوغ المستشرقين خارج أوطانهم في المستعمرات، بعبارة نستعيرها من رفاعة الطهطاوي في كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، قوله[2]: "ومن المعلوم أن الدر والمسك لا يشرفان ما لم يفارقا وطنهما". وعندما عادوا إلى أوطانهم، صاروا مثل بطل المسرحية الذي يموت في آخر مشهد منها.

(1) محمد فتح الله الزيادي: 1998، الاستشراق: أهدافه ووسائله، ص87.

(2) رفاعة الطهطاوي، ص 29: 2012.

الإنتاج الفكري والثقافي

لقد سعينا، قدر المستطاع في هذا الجزء، ووفقاً للمصادر المتاحة أن نقدم ثبتاً كاملاً لأعمال ليون برشي، وقد اعتمدنا في ذلك على ما نشره هنري بيريس في مقالته الصادرة في الحولية الإفريقية سنة 1955م، حول آثار ومآثر بيرشي، وعلى جملة من المصادر الفرنسية والعربية التي حاولنا من خلالها تقصي الإنتاج الفكري والثقافي لبرشي ورصده، وقد جاءت أعماله مصنفة على النحو الآتي:

1. 1916: أحكـــام الجنايات والعقوبات في ضوء القانون العام والقرآن الكريم، والضوابط الفقهية في المذهب المالكـــي والمذهب الشافعي والمذهب الحنفي" لنيـــل درجة الدكتوراه في كلية الحقوق بجامعـــة باريس. وأعيدت طباعتها في تونس سنة 1926.

2. 1921: مقامات الحريري، ترجمة "المقامة التفليسية"، نشرت في المجلة التونسية، المجلد 28، ص ص 220-226.

3. 1922: ترجمة وشرح قصيدة ابن حمديس في وصف قصر المنصور بباجة، المجلة التونسية، المجلد 29، ص ص: 50-56.

4. 1922: مقامات الحريري، ترجمة "المقامة الشيرازية"، المجلة التونسية، المجلد 29، ص ص: 257-261.

5. 1923: ترجمة مقتطفات مستلة من مختصر العلامة خليل بن إسحاق تتعلق بمسائل (الردة، وازدراء الدين، والخروج على الدين)، نشرت الترجمة في المجلة التونسية، المجلد 30، ص ص: 115-130.

6. 1930: ترجمة وشرح كتاب "الورقات في أصول الفقه" للإمام الجويني، تونس.

7. 1931: ترجمة رسالة جامعة الأزهر، قانون رقم 49 في سنة 1930، صدرت الترجمة في حولية الدراسات الإسلامية، المجلد 5، ص ص:241-275.

8. 1933: ترجمة وشرح "الإسلام وأصول الحكم" لعلي عبد الرازق، حولية الدراسات الإسلامية، المجلد 7، ص ص: 163-222.

9. 1935: ترجمة كتيب "موقف هيئة كبار العلماء في الأزهر حول كتاب الإسلام وأصول الحكم" لعلي

عبد الرازق، حولية الدراسات الإسلامية، المجلد 9، ص ص: 75-86.

10. 1935: ترجمة تحليلية لكتاب الطاهر الحداد "امرأتنا في الشريعة والمجتمع"، صدرت الترجمة باسم مستعار "متفرج"، ونشرت في مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد 9، ص ص: 209-230.

11. 1938: نشر مقال تأبيني، ينعى فيه العقيد بول مارتين (1882-1938)، وهو من المستعربين والمتخصصين في دراسة الإسلام جنوب الصحراء الأفريقية، ويوصف بأنه من المهتمين باللغة العربية والعارفين بها، وعمل كذلك مترجماً. صدر المقال في الحولية التونسية في العدد 33-34، ص ص 15-17.

12. 1939: نشر "الميثاق الأساسي، وترجمة لنص باللغة العربية غير منشور لأحمد بن الضياف والجنرال حسين، صدرت الدراسة في الحولية التونسية، العدد 37، ص ص: 67-86.

13. 1942: ترجمة نص من كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ، نشرت الترجمة في منشورات الدراسات العربية، العدد 7، الجزائر، ص ص: 47-48.

14. 1943: شرح معنى عبارة "لسان حال"، منشورات الدراسات العربية، العدد 12، ص46.

15. 1944: تأليف معجم "العضد اليمين للمحررين والمترجمين"، صدر عن دار النشر Jules Carbonel، الجزائر.

16. 1944: نشر مقال بعنوان: لماذا اللغة العربية صعبة؟، منشورات الدراسات العربية، العدد 16، ص ص:3-5.

17. 1944: قراءة تحليلة حول كتابات فون كريمر عن أبي العلاء المعري، منشورات الدراسات العربية، العدد 17، ص ص:35-42.

18. 1945: ترجمة "متن الرسالة " في الفقه المالكي لابن أبي زيد القيرواني، منشورات المكتبة العربية الفرنسية، الجزائر، 317ص.

19. 1947: مقالة حول "ابن حزم، وكتابه طوق الحمامة"، منشورات الدراسات العربية، 31، ص ص:3 -6.

20. 1947: ترجمة باب ماهية الحب من كتاب "طوق الحمامة" لابن حزم الأندلسي، صدرت الترجمة في

نشرة الدراسات العربية، العدد 32، ص ص:90-96.

21. 1947: ترجمة باب: من أحب من نظرة واحدة، من كتاب "طوق الحمامة" لابن حزم الأندلسي، صدرت الترجمة في نشرة الدراسات العربية، العدد 33، ص ص:127-144.

22. 1947: ترجمة باب الوصل من كتاب "طوق الحمامة" لابن حزم الأندلسي، صدرت الترجمة في نشرة الدراسات العربية، العدد 35، ص ص233-240.

23. 1949: ترجمة كتاب طوق الحمامة في الأُلفة والأُلاّف، المكتبة العربية الفرنسية، الجزائر.

24. 1950: التونسيون: نهضة ثقافية، مقال مشترك مع عدد من المستشرقين، دار نشر Adrian Maisonneuve، باريس، ص ص: 188-194.

25. 1950 : تنظيم القضاء، مدخل إلى تونس، إصدار مشترك، Adrian Maisonneuve ، باريس، ص ص: 270-280.

26. 1951: ترجمة مجموعة نصوص مستلة من مقدمة

ابن خلدون في علم الاجتماع والقانون الإسلامي العام. تمت الترجمة بالتعاون مع جورج سوردون. صدرت الترجمة عن مكتبة المعهد العالي للدراسات الإسلامية في الجزائر.

27. 1952: ترجمة مختصر شرح الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، لمحمد قدري باشا، بالتعاون مع بوسكييه، صدرت الترجمة عن معهد الدراسات العليا في تونس، 271 ص.

28. 1952: ترجمة أجزاء من المجلد الثاني من كتاب دراسات إسلامية في الحديث لجولدتسيهر عن اللغة الألمانية، نشرت الترجمة في سلسلة "مدخل إلى الإسلام"، 357 ص.

29. 1952: ترجمة كتاب "عصر النهضة في الإسلام" لأدم متز، بالتعاون مع المستشرق جيرارد لوكونت.

30. 1953: ترجمة كتاب آداب النكاح، وهو الكتاب الثاني من ربع العادات من كتاب "إحياء علوم الدين" للأمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي. صدرت الترجمة بالتعاون مع بوسكييه، وهي من منشورات مكتبة كلية الحقوق في الجزائر، وكذلك

تمت طباعتها في باريس وأكسفورد، 131 ص.

31. 1953: تحليل وفهرسة "إحياء علوم الدين" للغزالي، بالتعاون مع المستشرق بوسكييه وآخرين من المستعربين. صدر العمل عن معهد الدراسات الشرقية في كلية الآداب بالجزائر، 466ص.

32. 1955: ترجمة كتاب "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الغزالي"، وتعليق فرانسوا فيري، صدرت الترجمة في تونس.

33. ترجمة جزء من المجلد الثالث من كتاب "تاريخ الأدب العربي" لبروكلمان.

34. ترجمة كتاب "أحكام السوق" لأبي زكريا يحيى بن عمر بن يوسف الكناني الأندلسي، دار نشر كربونل، الجزائر.

35. 1958: ترجمة متن "العاصمية" المسمى بتحفة الحكام في نكت العقود والأحكام لأبي بكر محمد ابن محمد بن عاصم المالكي الغرناطي، صدر عن دار النشر Typo-Litho et Jules Cabronel، 447ص. وقد صدرت هذه النسخة بعد وفاة ليون برشي.

الخاتمة

تناول الكتاب سيرة المستشرق الفرنسي ليون برشي الذي ولد في فرنسا، ونشأ في الجزائر ولمع نجمه في تونس بوصفه الأستاذ الجامعي والضابط العسكري، حيث عمل مترجما عسكريا في الجزائر. وفي تونس برز بصورة الأستاذ الأكاديمي والباحث والمترجم في قضايا أصول الفقه المالكي. يميل في معتقده إلى جماعة الآباء البيض.

لقد حظي ليون برشي بمكانة رفيعة لدى المستعربين الذين عاصرهم وعايشهم، بحكم منزلته العلمية وما تمتع به من سعة في الإطلاع وغزارة في الإنتاج، حيث حصل على درجة الدكتوراه في القانون الإسلامي من جامعة إكس ان بروفانس، واختص في أصول الفقه، ونال الإجازة في اللغة العربية من المدرسة العليا للغة والأدب العربي في تونس، ووضع في اللغة العربية "معجم العضد اليمين للمحررين والمترجمين".

وفي الترجمة يعد من الكبار، فمن أعماله، ترجمة كتاب طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم الأندلسي،

ومتن العاصمية لابن عاصم المالكي، ومتن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، وكتاب الورقات في أصول الفقه للإمام الجويني. وترجم بالاشتراك مع جورج هنري بوسكيه "كتاب آداب النكاح"، وهو الكتاب الثاني من كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمد الغزالي. لقد برز اهتمام برشي بقضايا المجتمع التونسي، وكتب عنه، وعن الحراك المجتمعي الذي يدور فيه، وعبر عن هذا الاهتمام بترجمته التحليلية لكتاب الطاهر الحداد" امرأتنا في الشريعة والمجتمع". ترأس قسم الترجمة التحريرية والفورية لدى المفوضية العامة في تونس، وعمل مديرا لمعهد الدراسات العليا.

والكتاب في مجمله، يقدم سيرة ليون برشي العلمية وتوجهاته وفقا لأعماله المترجمة وكتاباته المنشورة، ويقدم رصداً للمصادر العلمية التي تمكن الكاتب من الرجوع إليها.

فهرس المراجع

المصادر العربية:

- ابن حزم الأندلسي، ط 2018، طوق الحمامة في الأُلفة والأُلاّف، المكتبة العصرية، بيروت، 328 ص.
- ابن حزم الأندلسي، ط 1983، رسائل ابن حزم الأندلسي، ج 1، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- ادوارد سعيد، الاستشراق، ط 1981، ترجمة كمال أبوديب، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت.
- أوجست، فرنسوا، 2016، الترجمة: مشهد التعددية اللغوية والدفاع عنها، ترجمة إبراهيم البلوي ومحمد الجويلي، دار جامعة الملك سعود للنشر، 597ص.
- البنيان، أحمد والبلوي، إبراهيم، 2003م. ترجمة الألفاظ القرآنية بين التغريب والتوطين المنور بمجلة أفشوت، المغرب، ص: 62، 63، 64.

- البنيان، أحمد عبدالله. 1423هـ. "ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية ومراعاة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر". ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم: تقويم للماضي، وتخطيط للمستقبل، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

- البقاعي، محمد خير بن محمود. 1423هـ: "ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية: رينيه، وأندريه شوراكي، وجاك بيرك نموذجاً". ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم: تقويم للماضي، وتخطيط للمستقبل، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص 1-33.

- جهداني، عبدالواحد، 2016: المستشرق الفرنسي روبير برنشفيج، افاق الثقافة والتراث السنة الرابعة والعشرون، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، العدد 75، ص ص:23-38.

- حمدان، نذير، 1988: مستشرقون: سياسيون- جامعيون- مجمعيون، مكتبة الصديق، الطائف، 265ص.

- حمدان، عبدالحميد صالح، 1990: طبقات المستشرقين، القاهرة، 227ص.
- ديتريش، ألبرت، 1962: الدراسات العربية في ألمانيا، تطورها التاريخي ووضعها الحالي 7، جوتنجن، ألمانيا.
- زناتي، أنور محمود، 2006: زيارة جديدة للاستشراق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 302ص.
- السامرائي، قاسم، 1998: الفهرس الوصفي للمنشورات الاستشراقيـــة، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 495 ص.
- طارق السيد: 2014، الاستشراق... وقضايا المرأة المسلمة، Lahaonlin.com.
- الطهطاوي، رفاعة. 2012، تلخيص الإبريز في تلخيص باريس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 322 ص.
- عباسة، محمد، 2020، قصيدة الحب في شعر التروبادور البروفنسي، مجلة التراث، العدد 20، جامعة مستغانم، الجزائر.

- عزيز، حمزة، 2014: موقف جولدتسهير من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 719ص.
- الغزالي، الإمام أبي حامد محمد بن محمد، ط 2017، إحياء علوم الدين، المجلد الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- فرحاتي، هالة. 2015، مقاومة المقراني والحداد 1871م، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر "بسكرة"، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 119ص.
- كمارا، فودي سوريبا، 1423 هـ: دراسة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية التي أعدها ريجيس بلاشير، ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم: تقويم للماضي، وتخطيط للمستقبل، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- كبوط، عبد الحليم، 2008، أدبية الرسائل الأندلسية: طوق الحمامة نموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 180ص.
- مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز الماجد للثقافة والتراث، العدد 95، 2016، الإمارات.

المصادر الفرنسية:

- Albalawi, Ibrahim,. La culture arabo-musulmane vue par les manuels scolaires français: Perspectives interculturelle et didactologiques, PHILOLOGY, Égypte, 2005, Volume XLIV/1.
- Al-Juwani, 1995, Les fondements du droit musulman et des lois de la Charia, Traduit par Léon Bercher, Edition IQRA, Paris, 139p.
- Arié, Rachel, 1985, Ibn Hazm et l'amour courtois, Revue de l'occident musulman et de la méditerranée, N°40,pp. 75-89.
- Ben Achour, Sana Derouiche, 2013, L'enseignement du droit en Tunisie pendant la période coloniale, in Politiques législatives : Egypte, Tunisie, Algérie, Maroc, Centre d'études et de documentation économiques, juridiques et sociales, Egypte/ Soudan, p.p 45-58.
- Bercher, Léon, La trente-toisième Séance de Hariri, dite de « Tiflis », Traduction dans Revue Tunisienne, t. 28, 1921 : pp. 50-226.
- Bercher, Léon, Le Palais d'El-Mansour à Bougie (Poème d'Ibn Hamdis, traduction et annotation, Revue Tunisienne, t. 29 , 1922 : pp. 257-261.

- Bercher, Léon, La trente-cinquième Séance de Hariri, dite de « Chiraz », Traduction dans Revue Tunisienne, t. 29, 1922 : pp. 50-226.

- Bercher, Léon, L'Apostasie, le blasphème et la rébelllion en droit musulman malikit, extrait du « Mukhtasar » de Sidi Khalil, Revue Tunisienne, t.30, 1923 : pp. 113-130.

- Bercher, Léon, 1926, Les délits et les peines de droit commun prévus par le Coran, Thèse de Doctorat, Tunis, 154p.

- Bercher, Léon, Kitab al-Waraqat, Traité de méthodologie juridique d'Abul-Ma'ali Imam alHaramayn 'Abd al-Malik al-Juwawayni, traduit et annoté, Revue Tunisienne, 1930 : PP. 185-214.

- Bercher, Léon, Nouvelle Charte de l'Université d'Al'Azhar au Cair, traduit dans la Revue Tunisienne, t.5, 1931 : 214-275.

- Bercher, Léon, L'islam et les bases du pouvoir : al-Islam wa-usul al-hukm de Ali 'Abdurraziq, traduit et annoté, Revue des Etudes Islamiques, t. è, 1933, pp. 353-391.

- Bercher, Léon, Analyse de la brochure intitulé « Sentence des Grands Ulémas » d'al-Azhar sur le livre «l'islam et les bases du Pouvoir », Revue des Etudes Islamiques, t.ç, 1935 : pp.75-86.
- Bercher, Léon, « Notre femme dans la loi et dans la société » de Tahir al-Hadad, traduction analytique, Revue des Etude Islamiques, t. 9, 1935 : 201-230.
- Bercher, Léon, 1938, Lexique arabo-français, Jules Carbonel.
- Bercher, Léon, 1945, La Risala ou Epitre sur les éléments du dogme et de la loi de l'islam selon le rite malikite d'Ibn Abi Zayd al-Qayrawani, traduction française en regard, Bibliothèque Arabe-Française, Alger, 371p.
- Bercher, Léon, 1949, Tawq al-Hamama d'Ibn Hazm al-Andalusi, Bibliothèque Arabe-Française, Alger, 427p.
- Bercher, Léon, 1950, L'organisation de la Justice, INITIATION A LA TUNISIE, Adrian-Maisonneuve, Paris, p.p 270-280.
- Bercher, Léon et Bousquet G. H., 1952, Al-Muhtasar :

Le statut personnel en droit musulman hanéfite de Al-Quduri, Texte et tradution annotée, Bibliothèque Juridique et Economique, Vol. 3, 271p.

- Bercher Léon et Bousquet G. H., 1953, Le Livre des Bons Usages en matière de Mariage de Gazali, Extrait de Vivification des Sciences de la Foi, Traduction française annotée, Bibliothèque de la faculté de Droit d'Alger, 131p.
- Bercher, Léon, 1952, Etude sur la Tradition Islamique de I. Goldziher, extraites du Tome 2 des Muhammedanissche Studien, trad. Annotée, colletion « Initiation à l'Islam, Vol. 7, Paris 357p.
- Berque, J., Le Coran: essai d'intrprétation, Sindibad, Paris, 1990.
- Drévillon, Hervé et Olivier Wieviorka, 2018, Histoire Militaire de la France, PERRIN, Paris, 740p.
- Encyclopédie UNIVERSALIS sur C.R, 1999, articles: Islam.
- Ibn 'Açim, Abou Bakr, 1958, Al-Açimiyya ou

Tuh'fat al-h'ukkam fi nukt al-'uqoud wa'l-ah'kam,, Traduit par Léon Bercher, université d'Alger, Jules Cabbronel, 447p.

- Kasimirski, Le Coran, GF-Flammarion, Paris, 1970.
- Manuel de l'Histoire, 2005, Bréal, Paris.
- Martinez-Gros, Gabriel, 1992, Tawq al-Hamama d'Ibn Hazm al-Andalusi, « Le Collier de la colombe », Actes Sud, Paris, 251p.
- Labrusse, Rémi, 2011, "Orientalismr et islamophobie", in islamophilies – L'Europe modern et les arts de l'Islam, Somogy editions d'Art-Musée des Beaux-Arts de Lyon, Paris, p. 29.
- Laurens, Henry, 2008, "L'orientalisme français: un parcours historique", in Penser l'Orient, coll. Contemporain, Presses de l'Ifpo, Orient institut, Beyrouth, p.p 103-128.
- Messaoudi, Alain, 2015, Les arabisans et la France coloniale 1780-1930, ENS Edition, Paris, 554p.
- Perès, Hanri, Néocrologie : Léon Bercher, Revue Africaine, 1955 : pp. 234-240.

- Pouillon, François, 20 Albert Thibaudet 08, Dictionnair des orientations de langue française, Edition Karthala, Paris, 1007p.
- Sadek, Salam, 2006, La France et ses musulmans : Un siècle de politique musulmane 1895-2005, Fayard, Paris, 396p.
- Wikipedia.